مدارات ونقوش

Orbits & Inscriptions

العدد (15) السنة الثانية - مايو 2019

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية | تصدر عن مركز جمال بن حويرب للدراسات

محمد بن راشد فارس
يسطر أمجاده على ظهر الخيول

سيرة اتصالات.. نبض حياة الغد

أضواء على أول دليل لتلفون دبي

نشأة وسائل الاتصال عبر التاريخ

مجالس رمضان في كتب الرحالة مؤرخو الإمارات الأوائل

العايذية.. أقدم شاعرات نجد

محمد رفيع.. الحلم والحقيقة

ناصر بن عبد اللطيف السركال.. ريادة معاصرة

نشأة الدرعية.. عاصمة الدولة السعودية الأولى

مصحف البندقية.. محاولة تاريخية أفشلها الجهل باللغة العربية

قصيدة «ليلُ الإماراتِ أفراحٌ وألحانُ»

فيضٌ من الحكمة والنصيحة والتهنئة

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

06 قراءة في قصيدة محمد بن راشد ليلُ الإماراتِ أفراحٌ وألحانُ فيضٌ من الحكمة والنصيحة والتهنئة

ملف

10 محمد رفيع.. الحلم يصبح حقيقة

12 ناصر بن عبداللطيف السركال.. ريادة معاصرة

16 اتصالات الإمارات في سطور

18 دليل تليفون دبي

22 اتصالات.. 43 عاماً من العطاء

28 نشأة وسائل الاتصال عبر التاريخ

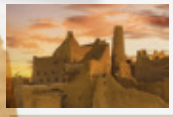

36 نشأة الدرعيـة عاصمة الدولة السعودية الأولى

40 مصحف البندقية

46 رمضـان فـي كتب الرحّالـة

50 مؤرخو الإمـارات الأوائـل أسهموا في حفظ تاريخ المنطقة

52 قصائدي في حب الخيل روائع قائد عاشق للإنجازات المتفردة

58 فتح القسطنطينية بين جهود المسلمين الأولى والحصاد العثماني

62 ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد: تحفة فنية فريدة من العصر المريني

66 العايذية.. أقدم شاعرات نجد

مدارات ونقوش

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية

العدد 15 السنة الثانيـة - مايو 2019

تصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات

رئيس التحرير

جمال بن حويرب

هيئة التحرير

حسين درويش

خليـل البـري

مريـم أحمـد

المدير الفني

أيمـن رمسيس

الإعلانات والتوزيع والاشتراكات

+97143940309

info@jbhsc.ae

عنوان المركز

الإمارات العربية المتحدة - دبـي

الموقع الإلكتروني:

www.jbhsc.ae

Jbhscae | Jbhscae

Jbhscae | Jbhsc AE

أهمية الوثيقة في حياتنا

جمال بن حويرب
رئيس التحرير

يغفلُ كثيرٌ من الناس عن تاريخ بلادهم الذي ورثوه عن آبائهم أو طريقهم الذي استحدثوه بأيديهم وجدِّهم، فلا يتركون صغيرة ولا كبيرة من الآثار إلا رمَوْها، أو لم يهتموا بها فيكتب لها الضياع من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وعندما يأتون بعد ضياعها يبحثون عن ورقة تثبت لهم معلومة ما، يصدمون عندما يعلمون أنَّ الوثيقة التي كانوا يبحثون عنها قد أكلتها الرمة أو أُحْرِقَت.

لقد فوجئت بقومٍ حرقوا كلَّ تراث والدهم بعد رحيله، ومن أمثالهم كثيرٌ في مجتمعاتنا، فلم يبقَ لنا تاريخٌ ولا صورةٌ ولا وثيقةٌ إلا تمَّ إتلافها كأنها عدوٌّ لهم وليست تاريخاً يبقى من بعدهم. وكذلك هدمُ الآثار في الماضي ونقلُ حجارتها من مكان إلى مكان آخر للبناء، أو صهر العملات القديمة من أجل أخذ ذهبها وفضتها أو خرقها لغرض الزينة وهم لا يعلمون قيمتها التاريخية.

قيمة كبيرة

ولو حدَّثْتُكم عمّا فعل الجهل بقيمة الوثائق التاريخية بأنواعها لبكيتم مثل ما يبكي كلُّ حريص على تاريخ وطنه، يراه أمام عينيه ولا يستطيع الوصول إليه، بسبب منع أصحاب الوثائق من تمكين الباحثين من الوثيقة لكي يقدموا لنا تاريخاً محقَّقاً، وأقول لكم إنَّ الحديث ذو شجون وسأحدثكم عن الوثيقة ومعناها واشتقاقها وأنواعها:

«الوثيقة» أصلها من مادة وثق وهو الإحكام، ثمَّ استخدمت في كلِّ ما يوثّق به ويحكم خاصة في المعاملات الرسمية من بيع وشراء وأوامر سلطانية وأحكام قضائية. أمّا الوثيقة التاريخية فهي كلُّ ما خلَّفه الحدث التاريخي من أحداث، وكلُّ ما يتركه السلف من آثار. فهذه الوثائق هي الشاهد على التاريخ، ولم تعرفها العرب بهذا المعنى ولهذا تخلو المعاجم القديمة منها، ثمَّ توسَّعت الآن لتشمل كلَّ شيء يمكن توثيقه من أوراق قديمة وحديثة وصور ولوحات وصوتيات وفيديوهات وغيرها.

ولا نعرف متى تمَّ استخدام الوثيقة بهذا المعنى، إلا أنه متقدم وقد جاء في شعر القاضي عبدالعزيز بن أم ولد، أحد شعراء القرن العاشر:

هذه حجة مبانيها
أسست بالوثاق تأسيسا

الوثيقة التاريخية هي كلُّ ما خلَّفه التاريخ من أحداث وكلُّ ما تركه السلف من آثار

صح عندي فحواها
لن ترى في السطور تلبيسا
ثم عبدالعزيز وقّعها
قاضيا في ديار مغنيسا

أنواع الوثيقة

أمّا عن أنواع الوثائق، فهناك من يظن أنها هذه الورقة القديمة البالية التي أكل عليها الدهر وشرب، والحقيقة أنَّ الوثيقة اليوم أوسع بكثير ممّا يظنون، فهناك أنواع كثيرة للوثائق وهذه أهمها:

- الوثائق الصامتة: مثل المباني والآثار التي تخلفها أي حضارة.

- الوثائق المكتوبة: ولها فروع منها:

النصوص: وتقسم إلى نصوص مقصودة؛ وهي التي وضعها أشخاص بقصد التأليف، ونصوص غير مقصودة؛ تظهر نتيجة تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وعسكرية، وقد تكون النصوص شخصية أو عامة.

الإحصاءات: وهي تنشر عادة في الصحف أو الجرائد الرسمية التابعة للدول أو الأنظمة والأحزاب أو تنشر في المواقع الرقمية وتكون شاملةً لكافة المجالات.

الرسوم البيانية: وهي التي تنتج من الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة سواء كانت من قِبَل الأجهزة الحكومية أو المؤسَّسات أو الأشخاص.

الصور: وتتنوع الصور، فقد تكون رسمية تابعة للحكومات وما يصل بها كصور الوفود والاجتماعات الرسمية والتظاهرات وغيرها، وقد تكون لما يحيط بنا من بيئة كالبنى التحتية والفوقية ووسائل النقل والمواصلات وغيرها.

الرسوم: قد تكون رسوماً رسمية تتبع للدولة والمنظمات المحلية والعالمية أو خاصة.

الخرائط: السياسية والعسكرية وبعضها لأغراض بيئية واقتصادية واجتماعية وغيرها.

والمواد السمعية والمرئية، وغيرها كثير ممّا لا يسعنا

حصره لكم في هذه المقالة، ولعلي أخصّص له مقالات متتالية. أمّا عن أهمية الوثيقة فهذا لا يخفى على أحد؛ لأنَّ الوثيقة الرسمية اليوم وغير الرسمية بأنواعها المختلفة هُوية وتاريخ وأساس تُبْنَى عليه أمورٌ كثيرة.

أهمية الوثيقة

عندما نسمح للوثيقة بالظهور فإنها ستكون أفضل مصدر لكتابة التاريخ والبحث فيه، فأي تاريخ يمكننا أن نعول عليه بلا وثيقة وبلا شواهد أو دليل يدلنا على صدق الخبر من كذبه، وقد مرَّ تدوين التاريخ بمراحل كثيرة حتى وصلت المدارس التاريخية الحديثة وأبعدته عن الحكايات والقصص الأسطورية والمواقف الساخرة، وأصبح بفضل العلم الحديث والنقد القوي البنّاء لعلم التاريخ ذاكرة حية للشعوب، ومادة علمية يجب أن يتمَّ التعامل معها بأمانة بالغة وحرص شديد.

هذا، وتمثّل الوثائق مصدراً مهماً للباحثين، ولكن مع وجود كثير منها مجهولاً أو مصاباً بالإهمال من أهله أو مدخراً مكنوزاً عند بعضهم (العائلات والمكتبات الخاصة وغيرها) حتى يضيع أو يتلف أو يصيبه ما يصيبه، ويضنّون به على أهل العلم، ونحن نعاني حتى نقنعهم بالكشف عن الوثائق التي بحوزتهم، وهذا عائق كبير للبحث والتدوين التاريخي. وقد يسأل سائل هل يمكننا الاعتماد على الروايات الشفوية، التي يتخلل بعضها كثيرٌ من المبالغات أو يعتريها النسيان من كبار السن، وهي ولا شكَّ مهمة لحفظ ذاكرتنا الحية، ولكنها لا تصل إلى مقدار الوثيقة التي لا يمكن الطعن فيها، إلا عند الكشف عن تزويرها ولهذا عندما لا تتوافر الوثائق، يمكننا الرجوع إلى الرواية الشفهية ويمكننا أيضاً تعزيز موقف الوثيقة والعكس صحيح، أمّا أن نترك الوثائق ونعتمد على هذه الروايات الشفوية فهذا خطأ لا محالة، وهناك أمثلة كثيرة على خطأ الروايات والتباس الأخبار على أصحابها أو نسيان أجزاء منها أو الكذب في بعض مجريات أحداثها.

jamal@jbhsc.ae

قراءة في قصيدة محمد بن راشد

لَيلُ الإماراتِ أفراحٌ وألحانُ

فيضٌ من الحكمة والنصيحة والتهنئة

بقلم: جمال بن حويرب

لا أذكر في كلِّ ما قرأتُ في كتب الأدب القديمة التي حوت كثيراً من أشعار الأولين من الملوك والأمراء وغيرهم من فحول الشعراء من خصَّ أنجاله بقصائد فيها الحكمة والنصيحة والتهنئة والتاريخ في قصيدة واحدة، بل ولا أقل من ذلك، ولم أرَ حاكماً في هذه العصور المتأخرة من الذين قاموا بإنجازاتٍ كبرى كإنجازات سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، يخصُّ أنجاله بالقصيدة تلو الأخرى، وفيها ما فيها من النصيحة والحكمة والتعليم تصريحاً وتلويحاً من آنٍ إلى آخر، وهل سيبقى للتاريخ إلا هذه الإنجازات الخالدة والقصائد السائرة التي لا يمكن لأحد من هذا الوطن العريق أن ينساها، مثل هذه القصيدة التي رسمت البهجة على وجه الشعب الإماراتي وكل من يحب الإمارات وأهلها في العالم، وممّا يميّز هذه القصيدة أنها جاءت في شهر عظيم ومناسبة سعيدة ننتظرها منذ زمن، وكاتبها حاكم لم نرَ مثله من الحكّام، قضى خمسين عاماً في خدمة شعبه والعرب والمسلمين والإنسانية، وقاد بلاده إلى حضارة وتقدُّم لم تشهدهما دول كثيرة، حتى صار مضرب الأمثال في العالم العربي الذي يراه قدوته ومنجزاته منهاجاً لكل خططهم المستقبلية، في عالمٍ متقلّبٍ خطير لا يعترف إلا بالأقوى والمتجدد الذي لا يتوقّف.

في هذه الأيام المباركة والسعيدة على قلوبنا، تأتينا قصيدة استثنائية من زعيمنا المفدى أبي راشد، بمناسبة أفراح الشعب بزواج أنجاله الشيوخ الكرام، سمو الشيخ حمدان بن محمد آل مكتوم، ولي عهد دبي، وسمو الشيخ مكتوم بن محمد آل مكتوم، نائب حاكم دبي، وسمو الشيخ أحمد بن محمد آل مكتوم، رئيس مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، حفظهم الله ورعاهم وبارك

عندما نظر أبو راشد إلى الصحراء، شعر بملامسة الريح لقلبه النبيل السعيد، فوصفها لنا بأدق وصف

فيهم. وفي العادة لا ينشر الشيخ محمد شعره في شهر رمضان المبارك، فإن نشر فستكون قصائد فيها دعاء وتضرُّع وحكمة كهذي القصيدة التي بين أيدينا، والتي أظنه كتبها في ليلة عقد قران أنجاله، فجاشت قريحته وهو ينظر إلى نجوم السماء، والليل مطبق على الأرجاء، فيقول في مطلعها:

ليلُ الإمـاراتِ أفـراحٌ وألـحانُ
وفـي سماها مـنَ الأنـوارِ ألـوانُ

فأيُّ ليلٍ هذا الذي بُدّلت ظلمته ووحشة صمته إلى أفراحٍ وألحانٍ، فيرسم لنا لوحةً نشاهد فيها الفرحة التي عمّت قصور آل مكتوم وآل نهيان وحكّام الإمارات وجميع بيوت شعب الإمارات الوفي المخلص، بل كل مكانٍ من هذه الدولة، أمّا سماؤها فقد مُلِئَت ألواناً من الأنوار من صفاء النفوس والبهجة والسرور، هذا ما يراه في السماء، أمّا في الأرض فقد:

بَـدَتْ بحُلَّتها الخضراءِ فاتنةً
وقَـدْ تـفـتَّحَ بـالـنُّوَّارِ بُـستانُ

بدت للناظرين كأنها لابسة ثيابا (حُلّةً) خضراء من العشب والأشجار، فهي تفتن كلَّ من ينظر إليها، وإذا نظرت إلى رياضها فستجدها قد تفتّحت بالأزاهير البيضاء فرحاً بهذا الزواج الميمون، والنُّوار والأنوار جمع نَوْر، وهو الزهر، يقال أنورت الشجرة ونوّرت وأنارت إذا أزهرت.

وعندما نظر أبو راشد إلى الصحراء، وهو دائم النظر إليها ودراستها ويعرفها حقَّ المعرفة أكثر من أيِّ بدوي عاش فيها طيلة حياته، شعر بملامسة الريح لقلبه النبيل السعيد، فوصفها لنا بأدق وصف، وهي كانت كذلك ليلة الإعلان عن الزواج المبارك، فقد كانت:

والـرِّيحُ سَجْسَجُ والبيداءُ قافيَةٌ
ربـوعها بجميلِ الـوَردِ تـزدانُ

فريحها معتدلة لا برد فيها ولا حر، يستمتع بها كل من تلاقيه، وهو يشعر بالسعادة تغمره، ويرفع نظره إلى الصحراء، فإذا هي قافية شعرية لا خلل فيها، تبهج الناظرين كما تطرب القوافي الأسماع، أمّا ربوعها فهي مزدانة مبتهجة بالورود في كلِّ مكان، ولو أنَّ فناناً كان مع شاعرنا الكبير يرسم ما يشعر به، لما استطاع أن يصل إلى بعضٍ من هذه اللوحة الرائعة التي صوّرها لنا سموه في مطلع هذه القصيدة الغالية على قلوبنا، وقد يسأل سائل: لماذا كلُّ هذه البهجة والأفراح؟ فكان الجواب:

وكيفَ لا وهيَ في عُرسٍ قدِ احتَفَلَتْ
بـأحـمدٍ ثُـمَّ مـكتومٌ وحـمدانُ

نعم، كيف لا تفرح ولا تكون مسرورة بهذه المناسبة، وهي تصادف عرس الأمجاد، عرس ثلاثة من الشيوخ الكرام الذين هم مستقبل الإمارات ومن أركان دولتنا، وبدأ بأصغرهم الشيخ أحمد، ثمَّ ابتدأ جملة جديدة، فقال: وكذلك مكتوم وحمدان، يحتفل الشعب، ليصح ترتيبهم حسب أعمارهم ومناصبهم، وهذا من جمال التوفيق وإحكام المعاني وترتيبها، ثمَّ يؤكد الشاعر المعنى بتوجيه أنظارنا إلى لوحة أخرى يراها ويقرّبها لنا، فيقول:

فَـكُـلُّ ركـنٍ بـهِ عـطـرٌ وأغـنـيَةٌ
وكـــلُّ روضٍ بـــهِ روحٌ وريـحـانُ

فكلُّ ركن به عطر نشمُّ فيه العطر الغالي النفيس لهذه المناسبة السعيدة، وكذلك في كل أركانها الأغاني فرحاً، أمّا الرياض فكلُّها فيها الروح والريحان، أي الراحة والرزق وبرد العيش، وقد وظَّف بوراشد هذه الآية في هذا البيت «فروح وريحان»، ليدلّ على الأيام السعيدة التي يعيشها ويعيشها معه شعبه التي هي:

أيَّامُ أنـسٍ بـدَتْ تجلي محاسنها
كالبَدرِ والأنـجمُ الزَّهراءُ نيشانُ

فكأنَّ محاسن الأيام لم تكن بهذه الفتنة والسحر حتى أعلن عن مناسبة قران الشيوخ، فأظهرت جميع مفاتنها، فهي مثل القمر وهو بدر في منتصف الشهر، وقد صادف نشر هذه القصيدة والقمر مكتمل بدر تشبه لياليه النهار من وضوح الرؤية للذي يسير فيه، ثمَّ بدأ جملة جديده ليأتي بوصف جديد لهذه الأيام، فقال: والأنجم الزهراء المنيرة علامة على هذه الأيام المؤنسة السعيدة على قلب كلِّ مَن أحبَّ هذه الأسرة الكريمة، آل مكتوم، لما بذلوه من غالٍ ونفيس من أجل رفعة دولتنا الحبيبة، ولأخلاقهم العالية التي

محمد بن راشد صائغ ماهر ذو أدب جم، خبير بالتربية حتى أصبح أنجاله في مجال العلياء فرساناً يشار إليهم بالبنان

توارثوها كابراً عن كابر، وجعلت إمارة دبي مهوى قلوب الناس من كلِّ حدب وصوب.

ولسحر حسن هذه الأيام المباركة السعيدة فكأنها:

تاهَتْ علىَ الغيدِ في حلٍّ وفي خُلَلِ
وانحَلَّ مِنْ حُلَلِ الظلماءِ مرجانُ

ويستمرُّ سموه في وصف هذه الأيام، فجمالها تفخر وتتيه به على كلِّ غيداء جميلة تروع الناظر إليها في حلها وثيابها المكسية بالورود الجميلة، أمّا ظلام الليل فقد انحلَّ من ثيابه السوداء المرجان، وفيه إشارة إلى قول الله عز وجل في تشبيه الحور العين: «كأنهن الياقوت والمرجان»، في بياضهن وحمرتهن وجمالهن.

بعد أن وصف أبو راشد هذه الأفراح والأيام السعيدة، انتقل إلى وصف أنجاله الكرام الذين اجتهد في تنشئتهم لنفع الناس وحمايتهم والدفاع عنهم، والوقوف مع ضعيفهم، ومواصلة حضارة الإمارات، فقال في وصف بليغ مختصر:

أنجاليَ الصِّيدُ أبناءُ العُلا درَجوا
علَى الشَّهامَة مُذْ كانتْ ومذْ كانوا

النجل هو الولد والناجل الكريم النجل، ولهذا اختصَّ الناس في هذه العصور الأخيرة أبناء الملوك والحكّام بالنجل؛ للدلالة على شرفهم ومكانة أسرتهم، ولهذا قال: «أنجالي»، ووصفهم بأنهم صيد، وهو جمع أصيد، ويعني في العربية الملك والأسد، وبه يصف الشعراء والعرب أشراف الناس وسادتهم، فيقولون: هم الصيد، وقول سيدي الشيخ محمد: «أنجالي الصيد» مدح بليغ لأنجاله الشيوخ، حفظهم الله، لأنهم أبناء العلا، تعوّدوا على الشهامة منذ صغرهم، ولو جمعتُ لكم الأخبار التي أعرفها عنهم لما كفتني صفحات من هذه الصحيفة، فكيف بوالدهم الذي أنشأهم على هذه الصفات الكريمة النادرة بين الأمراء اليوم، ولهذا يؤكّد هذا المعنى بقوله، وكأنه ينتقل من حديثه للناس إلى حديثه لهم، فيقول:

ربّيتكمُ وسوادُ الليل يشهَدُ لي
كما تُرَبّي صقورَ الجوَ عقبانُ

هذا لا يحتاج إلى شهود يا أبا راشد، فكلٌّ من رآهم في صغرهم، وأنا واحد منهم، يشهد لك أنك لم تتركهم لحظة، فهم تلاميذك الأنجاب الذين تخرّجوا في جامعتك الكبرى، وعلّمتهم علوماً يصعب على كثير من أبناء الأمراء الوصول إليها، نشهد على ذلك، وليس سواد الليل وسهرك على هذه التنشئة الصالحة فقط، حتى أصبحوا من أعمدة إمارة دبي ودولة الإمارات، وأنت أعظمُ مرب ومعلمٍ عرفته في حياتي.

ثمَّ يتابع سموه وصف أسلوبه في تربيته لهم، فقال أيضاً مخاطباً أنجاله، لنتعرَّف نحن أسلوب التربية ونتعلَّم:

وصغتكمْ بيميني صَوغَ ذي أدَبٍ
فصرتُم اليومَ للعلياءِ فرسانُ

اختار الصياغة واختص اليمين، وعرّف بنفسه بأنه صائغ ماهر ذو أدب جم، خبير بالتربية، حتى أصبح أنجاله في مجال العلياء فرساناً يشار إليهم بالبنان، ثمَّ يعود ويؤكد المعنى الأول، ويفسّره:

علَّمتكُمْ أنْ تكونوا في العلا شُهباً
تَنْقَضُّ إنْ عُرِّضَتْ للضيمِ أوطانُ

فقد علّمهم سموه أن يكونوا كالشهب في السماء، تحرق كلَّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي على بلادنا أو أرضٍ لحلفائنا، كما تعلّم هو وأجداده النجدة والفزعة وحفظ حقوق الناس ودفع الطامعين، فأيُّ وصفٍ أبلغُ من هذا الوصف لهؤلاء الفرسان الذين يحتفل اليوم شعب الإمارات بزواجهم المبارك.

ثمَّ يبيّن أبوراشد أسباب حرصه على هذه التربية والتعليم، فقال:

وكان كل مرادي أن أجهزكم
للمجد إذ كان للأجداد ميدانُ

وهذا ما يقوم به الحاكم المخلص الذي يعرف أهمية تنشئة الأبناء على المجد وحبه والعلا والسعي خلفها، لتتواصل الأمجاد والإنجازات، كما فعل الأجداد يفعل الأحفاد، وهكذا تتواصل المسيرة المباركة، أمّا عن المنهاج الذي استخدمه في تعليمهم فيقول:

ومنهجي كان في تلقينكم وطني
وحب شعبي فحب الشعب برهان

وكـان زايـد تاريخا أدرسـه
لكم وأنعم بـه للمجد عنوان

حتى وصلتم إلى ما كنت أنشده
وأنتم اليوم لي فخر وتيجان

إذاً، حبُّ الوطن والشعب والتفاني من أجل رفعته وسعادة شعبه هو المنهج الذي انتهجه سيدي الشيخ محمد في تعليم أنجاله الشيوخ، واتخذ من سيرة الشيخ زايد نبراساً يضيء لهم الطريق، كيف لا وهو عنوان المجد كله، وبهذا التعليم والحرص الشديد على التعليم المستمر وصلتم إلى المكانة التي أصبحتم فيها فخراً لشعبكم وتيجاناً للأمجاد.

ثمَّ ينتقل إلى نصيحته لأنجاله فيقول:

وإذ وصلتم مواصيل الرجال
وفي سن الرجولة تأسيس وبنيان

أي ها أنتم ذا وصلتم إلى منازل الرجال التي كنت أنتظرها وأعلمكم من أجلها، وفي هذه المنزلة يكون العمل والتأسيس والبنيان، فعليكم بعدم الدعة.

ثمَّ ينتقل الشيخ محمد إلى موضوع القصيدة التي بدأها بالأفراح والأنوار، فيقول عن هذا الزواج المبارك:

واليوم أكمل جهدي إذ أزوجكم
وبالزواج يتم الدين والشان

في هذا البيت وصية سموه لأنجاله بأنه يتم جهده في تربيتهم وتعليمهم بتزويجهم، ويذكرهم بعظمة الزواج، حيث يتم به الرجل دينه، ويكون له شأن بين الناس، وفيه إشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوَّج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتقِّ الله في النصف الباقي».

ثمَّ يكمل سموه نصيحته البليغة، ويوصي أنجاله الكرام بزوجاتهم، وكأنه يذكرهم بحديث رسول الله: «استوصوا بالنساء خيراً»، فقال:

فأكرموا من لهنَّ الحق واحترموا
زوجاتكم فالهدى بر وإحسان

ثمَّ ذكّرهم سموه بنهج آبائهم الكرام الذين عُرفوا بالسماحة والكرم والأخلاق الكريمة في معاملة زوجاتهم الأميرات، كالمغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، فقد كان هو والمجد صديقين متشابهين، فقال:

ولتلزموا نهج آباء لكم سلفو
فجدكم راشد والمجد أقران

ثمَّ لم ينسَ سموه أن يوصيهم بالناس الذين هم كذلك يحتاجون إلى الرعاية والإحسان، ويجب معاملتهم بالمعروف، وعليهم اتخاذ البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير وتبعدهم عن الشر، وهذه من أهم الوصايا التي يحتاج إليها كلُّ حاكم وأمير، فقال:

وعاملوا الناس بالمعروف
وخذوا بطانة الخير إذ للخير أعوان

ثمَّ ينتقل سموه للتهنئة ومباركة الزواج، ويذكرهم بما علّمهم ورباهم عليه، وهو التعاون والتعاضد والتناصح فيما بينهم، حتى لا يدب الخلاف، وليس في الخلاف خير، فقال:

لكم أبارك من قلبي وأنصحكم
نصيحة من أب يحدوه إيمان
بأن تكونوا بقلب واحد أبدا
بذاك يمتد طول الدهر سلطان

وأنا أنتهز هذه المناسبة لرفع أسمى التهاني والتبريكات لسيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، رعاه الله، بمناسبة زواج أنجاله المبارك، والله يبارك فيهم وفي ذريتهم ويسدد خطاهم، آمين.

عطوف ودمث أخلص لوطنه وعمله

محمد رفيع الملا.. الحلم أصبح حقيقة

كنت أجتمع معه في كثير من الليالي الطيبة التي نقضيها في مجلس أبناء أحمد بن سليم، وهو من مرتادي هذا المجلس منذ زمن طويل قبل معرفتي به.

عرفته رجلاً دمث الأخلاق، كثير الابتسامة، يحب الناس ويحبونه، تجلس معه وكأنه من جيلك ولا يشعرك بأنه أكبر منك سنّاً ولا أكثر منك خبرة، بل يتركك تشعر بأنك أنت صاحب الخبرة وأنك أسنُّ منه.

أردت في هذه الحلقة أن أُخَلِّدَ ذكراه.. ذكرى رجل أخلص في عمله وتفانى فيه لمدة تقرب من 50 عاماً، ترقَّى فيه حتى بلغ أعلى المراتب بِجِدِّه ومثابرته منذ وقت التأسيس الصعب لشركة الاتصالات إلى أن أصبحت من كبريات الشركات العالمية.

ولم يكن وحده، بل عمل معه كثيرٌ من أهل الجد والخبرة والإخلاص من أبناء هذا الوطن الحبيب ومن المقيمين فيه، ولكني أضرب بالحديث عن المرحوم محمد رفيع مثلاً للجيل الصاعد الذي يريد التميز. ولا يخفى عليكم أنَّ العالَمَ سبَقَنا في استخدام تقنيات الهاتف؛ فمنذ اختراعه عام 1875م، لم نعرف عنه شيئاً حتى انتصف القرن العشرون، ولكننا اليوم بفضل الله ثمَّ بفضل قيادتنا الرشيدة نفوق كثيراً من دول العالم.

ولادته ونشأته

كانت ولادة السيد محمد رفيع عام 1946م في ديرة، من دبي، ونشأ نشأة حسنة في كنف والده الملا حسن الذي كان إماماً لأحد المساجد. حفظ القرآن صغيراً، وكان مُلمّاً بكتب التفسير والعلوم والتاريخ، وعندما بلغ مبلغ الرجال تنقّل في أعمال مختلفة بين تجارة الأقمشة والأغذية وغيرها، ثمَّ في سنة 1954م انتقل للعمل في الخُبر بالمملكة العربية السعودية؛ فعمل محاسباً لدى أحد مكاتب التجار لسنوات عدة، ولمّا عاد بقي إماماً لمسجد بن مديه الواقع بميدان بني ياس، وظلَّ يؤم الناس إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

تعليمه

بدأ السيد محمد رفيع دراسته سنة 1955م، حيث التحق بالمدرسة الأحمدية وبقي فيها حتى الصف الثالث، وقد انتقلت المدرسة الأحمدية إلى التعليم النظامي الشامل سنة 1957م، حيث تولى الأستاذ زهدي الخطيب إدارة دائرة المعارف، وكان مدير المدرسة هاشم أبو عمارة، وقد أدخل فيها لأول مرة تعليم اللغة الإنجليزية والمواد الاجتماعية والعلوم.

وتعلَّم أيضاً اللغة الإنجليزية عند مدرس خاص من الهند حتى أتقنها.

وكان ممّن زامله في المدرسة الأحمدية السيد أحمد المنصوري، والدكتور عبدالله الخياط مدير مستشفى الوصل، ومحمد سعيد حارب، والدكتور شوقي خوري وغيرهم.

عمله

من الأمور اللطيفة أنَّ السيد محمد رفيع عندما كان يذهب إلى المدرسة، كان يقف أمام مكتب شركة البرق واللاسلكي المحدودة ويتأمل العمال وهم ينجزون أعمالهم فيها، وهو لا يدري أنَّ مصيره سوف يقترن بالاتصالات طوال حياته!

بقي فترة بعد تخرجه وانضمَّ إلى شركة البرق واللاسلكي المحدودة في سنة 1960م، وعمره 14 سنة.

تاريخ الهاتف في الإمارات

ولعلَّ من المناسب أن أذكر شيئاً عن تاريخ الاتصالات في دبي، وسأعرض لكم شيئاً ممّا كتبه السيد ناصر بن عبداللطيف السركال الذي أسهم إسهاماً كبيراً في نشأة هذه الخدمات في

كان محمد رفيع يقف أمام مكتب شركة البرق واللاسلكي المحدودة متأملاً كيف يعملون وهو لا يدري أنَّ مصيره سوف يقترن بالاتصالات طوال حياته

الدولة.. يقول السيد ناصر:

«لقد كانت دبي خالية من الخدمات التليفونية، وكنّا نجد صعوبة في الاتصالات بين ديره وبر دبي، خصوصاً بعدما انتقل مركز البنك البريطاني للشرق الأوسط إلى بر دبي، والذي كنّا على اتصال دائم به في معاملاتنا التجارية؛ لذا قمت بالاتصال بشركة أي.أ.إل البريطانية التي تقيم في مطار الشارقة، وتحدثت إلى مديرها في هذا الموضوع؛ فأبدى استعداده لرفع الأمر إلى شركته، كما أني في الوقت نفسه أخبرت بعض الأصدقاء بما قمت به فاتفقوا معي في الرأي. وجاء الردُّ من الشركة أنهم على استعداد لذلك، بشرط ألا يقل عدد المشتركين في خدمات الهاتف عن 500 مشترك، فتعهدنا بهذا العدد وكانت مجازفة منّا، وبعد ذلك رفعت الشركة هذا الأمر إلى المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، حاكم دبي؛ فوافق على تأسيس الشركة. وتأسست الشركة في سنة 1959م، وباشرت عملها في منتصف عام 1960م، وعينت عضواً في مجلس إدارتها، ثمَّ صدر مرسوم اتحادي في سنة 1976م بضم الاتصالات في الإمارات تحت شركة واحدة سميت أميرتل».

المغفور له الشيخ راشد تابع تطور الاتصالات في الإمارات خطوة بخطوة

عمله في اتصالات

في عام 1963م، عمل السيد محمد رفيع أولاً في قسم المكالمات الخارجية؛ فكان الذي يتصل من الداخل يريد الخارج وبالعكس يطلب منه ربطه بفلان في المنطقة كذا، فيقوم بوصله مع من يطلبه كما هو النظام القديم. وقد أشرف خلال هذه السنوات على تركيب الخطوط الخاصة بالشيوخ في دبي وحكّام الإمارات. وفي 1970م، أصبح مديراً للقسم التجاري في المبيعات، وقد شهدت تلك السنوات إقبالاً كبيراً على الاشتراك في خدمات الاتصالات. وهكذا ظلَّ يترقى في المناصب حتى عُيِّنَ مديراً لاتصالات فرع دبي في سنة 1981م، ثمَّ صار مساعد المدير العام لشؤون العلاقات الدولية، ثمَّ نائب الرئيس لشؤون العلاقات الدولية.

صفاته

كما ذكرت آنفاً كان رحمه الله دمث الأخلاق، عطوفاً، شديد الاهتمام بأهله، يساعد الناس بما يملك، وقد ساعد على توطين شركة اتصالات، وكان يساعد الموظفين بما يقدر عليه.

وقد أرسلت له إدارة الشركة منذ بداية عمله كثيراً من رسائل الشكر تقديراً لتفانيه في العمل.

وفاته

هذا، وكنت أطلب منه أن يكتب لنا ذكرياته عن تأسيس شركة اتصالات، ويقول إذا وجدت وقتاً فسأكتب إن شاء الله، ولكن للأسف تعرَّض السيد محمد رفيع الملا إلى بعض المشكلات الصحية؛ فسافر للعلاج خارج الدولة، وبعد رجوعه ظلَّ يعاني آثارها حتى أتاه الأجل المحتوم في الأول من يناير عام 2009م، رحمه الله رحمة واسعة.

أضواء على شخصية عصامية معطاءة

ناصر بن عبداللطيف السركال.. ريادة معاصرة

من منّا لم يستمتع بنعمة الكهرباء وتوصيل المياه التي تدخل اليوم بفضل الله ثمَّ بفضل قيادتنا الرشيدة كلَّ مكان في وطننا الحبيب، بل أصبحت دولة الإمارات تنافس الدول العالمية في مجال توليد الطاقة الكهربائية، ومَن لم يستفد من خدمة الهاتف الثابت والهاتف الجوال، فكيف دخلت هذه الخدمات إلى وطننا؟ ومتى كان ذلك؟

قبل هذا دعونا نتعرف إلى شخصية عصامية فذة من هذا البلد المعطاء، استطاعت أن تحقّق السبق في أمورٍ عجز عنها الآخرون، وليس مهماً أن تكون تابعاً ولكن أن تكون بادئاً أولاً في الأمر وكما قلت:

وليس بمجدٍ أن تكونَ مُقَلِّدا
ولكن بأن تَحْيَا كريماً مُقَلَّدا

ولا بدَّ للناشئة أن يتعلموا المنافسة في طلب العلم، والبحث عن التميُّز والريادة في كلِّ نواحي الحياة كما كان عليه أسلافنا، ومن هؤلاء الأعلام السيد ناصر بن عبداللطيف السركال.

ولادته ونشأته

وُلِدَ في دبي سنة 1917م، وعاش أول سنتين من حياته في بيت والده عبداللطيف بن عبدالرحمن، الذي كان يعمل برتبة «خانبهادر» في الحكومة البريطانية، وهي ألقاب تطلقها

بيت السركال - الشارقة

المغفور له الشيخ زايد وناصر عبد اللطيف السركال

الحكومة في الهند على عمّالها، وكان عبداللطيف وكيلاً عن الحكومة البريطانية لمتابعة مصالحها في المنطقة منذ عام 1890م، وبقي في هذا المنصب حتى يوم وفاته سنة 1919م، ثمَّ خلفه ابنه عيسى في العمل نفسه.

نشأ السيد ناصر نشأة حسنة، وأرسله والده للتعلُّم في المدرسة الأحمدية التي كان يدرس فيها نخبة من أبناء الأعيان والشيوخ، وكان ذلك في سنة 1927م تقريباً.

ويذكر أنَّ المحسن محمد زينل، صاحب مدارس الفلاح، زار دبي في تلك الفترة وقد طُلِبَ من السيد ناصر أن يُلقيَ قصيدةً للمعري مطلعها:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلُ
عفاف وإقدام وحزم ونائلُ

وكان ذلك إشارة إلى مكارم محمد زينل رحمه الله.

عمله

بعد أن أتمَّ دراسته بدأ بأعمال الحياة؛ فعمل في بيت الدولة التابع للحكومة البريطانية مع أخيه السيد عيسى رحمه الله، ولم يكن يتقاضى راتباً على عمله معهم، ولكنه أراد أن يستفيد خبرة تؤهله ومعرفةً ينتفع بها في حياته.

وبعد وفاة أخيه عيسى سنة 1935م عمل في المحطة التابعة للإنجليز في الشارقة، والتي تمَّ تأسيسها سنة 1932م، وهناك تعلَّم قواعد اللغة الإنجليزية حتى أتقنها، ثمَّ بدأ في أعماله التجارية.

ناصر عبد اللطيف السركال

أسهم في إنشاء شركة الاتصالات وشركة الكهرباء وتأسيس أول بنك وطني في دبي

واشتغل بالتجارة سنة 1947م؛ فبدأ باستيراد ما يحتاج إليه الناس ويستفيدون منه، ويجب أن أُبَيِّنَ هنا أنَّ التجارة في الخليج آنذاك لم تكن سهلة أبداً، بل كانت من أصعب الأمور وفيها كثير من المخاطر، لا كما نراه اليوم من تيسير طرق التجارة وسهولة المواصلات والشحن وتوافر الموظفين ذوي الخبرة، ولهذا كان دخول التجارة في الماضي كدخول محيط متلاطم الأمواج؛ فليس هناك مصارف ولا واعتمادات وشركات تأمين وغيرها من التسهيلات الحديثة.

يقول ناصر بن عبداللطيف عن تلك الفترة:

"كانت التجارة منحصرة في استيراد البضائع الاستهلاكية كالأطعمة والأقمشة والأخشاب التي تصنع منها السفن وتدخل في مواد البناء، وقليل من الكماليات، وكان مصدر تلك المواد من الهند والعراق وإيران وساحل إفريقيا الشرقي، وأخيراً اليابان وأوروبا وأمريكا التي لم يكن لها اتصال مباشر مع التجار المحليين، بل كان الحصول على بضائع الأقطار الأخيرة بوساطة الوكلاء المحليين".

البنك الشرقي

بسبب خلاف السيد ناصر مع مدير البنك الوحيد في دبي، بدأ بالتفكير جدياً في إنشاء مصرف آخر ولكن في الشارقة، فعرض الفكرة على الشيخ صقر بن سلطان القاسمي؛ فرحَّب بالفكرة، وبعدها سافر السيد ناصر مباشرة إلى البحرين وأقنع إدارة البنك الشرقي المحدود أن يفتتح فرعاً له في إمارة الشارقة، وتمَّ افتتاحه في سنة 1957م، ما جعل كثيراً من التجار يتجه إليه؛ لأنه كان يخفض قيمة الاعتماد 15%، وقد اضطر البنك الآخر في دبي إلى أن يحذو حذوه وإلا فقد كلَّ عملائه.

وقد أدت هذه المنافسة إلى زيادة الاستيراد؛ فزادت عائدات البلاد من الرسوم الجمركية، وبرز تجار جدد أصبحوا بعد ذلك يملكون أكبر المؤسَّسات التجارية. نَمَت في هذه الأثناء تجارة السيد ناصر واتسعت في استيراد مكائن الماء الزراعية ومولّدات الكهرباء والمكائن البحرية التي تمَّ تركيبها في عبَّارات الخور وسفن صيد الأسماك.

بداية الكهرباء

الكهرباء بدأت في العالم المتحضر قبل وصولها إلينا بفترة طويلة؛ فمنذ اكتشافها في أواخر القرن الثامن عشر لم ننعم بها إلا في وقت متأخر جداً، وكان أول مولد للكهرباء يوضع في الشارقة سنة 1932م؛ لحاجة بيت الاستراحة المخصَّص

دَرَس في الأحمدية وتعلَّم الإنجليزية في محطة بريطانية بالشارقة

للطيران البريطاني، وفي عام 1939م، تحوّلت محطة الشارقة إلى قاعدة عسكرية، وتمَّ وضع مولدات كهربائية كبيرة، وفي عام 1952م جلبت شركة "كريمكنزي"، وكيلة السفن، مولداً كهربائياً وتمَّ تركيبه في مقر الشركة بدبي، ثمَّ جُلِبَ مولدٌ آخر وتمَّ تركيبه في بيت المغفور له الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي، في الشندغة.

يقول السيد ناصر:

«في عام 1955 جلبت مولداً خاصاً قوته 2 كيلووات، وركبته في منزلي في ديرة فتوالت عليَّ الطلبات من الجيران لِمَدِّهِم بالكهرباء؛ فاستجبت للبعض، وهنا فكّرت في توفير مولدات أكبر حتى أستطيع أن أمدَّ الجيران بالطاقة وتمَّ لي ذلك، ثمَّ جلبت مولدات أخرى حتى بلغت الطاقة سنة 1958م تعادل 210 كيلووات. وبعد إلحاح من الناس اتصل السيد ناصر بالمرحوم علي بن عبدالله العويس، والد التاجر والشاعر سلطان العويس، وقدَّم له فكرة إنشاء محطة للكهرباء كبيرة فرحّب بالفكرة وعرضها على المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، وأمر بتأسيس الشركة برأس مال قدره 3 ملايين روبية أسهمت فيها الحكومة وكذلك المواطنون. وقد بدأت بالعمل في أواخر 1960م».

لم تقف إسهامات السيد ناصر عند هذا الحد، فقد أسهم أيضاً في إنشاء شركة الاتصالات التي كانت تُعْرَف بشركة تليفون دبي المحدودة في سنة 1959م، والتي تأسَّست بأمر من المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وباشرت عملها في منتصف عام 1960م، ثمَّ أصبحت تدعى «أميرتل» بعد قيام الاتحاد، وصار السيد ناصر عضواً فيها.

وفي عام 1963م، تمَّ تأسيس أول بنك وطني في دبي، وكان السيد ناصر نائباً لرئيس مجلس الإدارة المرحوم علي بن عبدالله العويس، وقد أسَّس عدة شركات أخرى أصبحت من أكبر الشركات فيما بعد.

صفاته

كان رحمه الله، رغم سعة ماله، كثير التواضع.. يبدأ يومه بقراءة القرآن، ثمَّ يقرأ قصيدة تجمع أسماء الله الحسنى، ثمَّ يلتقي بعائلته قبل الذهاب إلى العمل. فإذا وصل مكتبه بدأ بمساعدة المحتاجين تفاؤلاً بالخير الذي عمله، ومن حرصه على عمل الخير قام بتأسيس جمعية بيت الخير مع سعادة جمعة الماجد. له مقالات منشورة وآراء كثيرة في موضوعات الاقتصاد والتجارة، وكان يشارك في كثيرٍ من الندوات الاقتصادية والاجتماعية وكان كثير المشاركة في هموم المجتمع غير منعزل عنه.

وفاته

في الأول من إبريل عام 1990م، وبعد رحلة طويلة من الإنجازات، وبعد مرور عام على مرضه انتقل السيد ناصر بن عبداللطيف إلى جوار ربه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

المجد

قصائد مهداة إلى صاحب السمو الشيخ

محمد بن راشد آل مكتوم

نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي

حفظه الله ورعاه

شعر

جمال بن حويرب

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

اتصالات الإمارات في سطور

1932

بـدأت أول وسـيلة اتصـال سـريعة بالـدول الأخـرى مـن خـلال محطـة للتلغـراف اللاسـلكي فـي مطـار الشـارقة.

1937

وافقـت حكومـة الشـارقة على استخدام الجمهـور للمحطـة مادامـت تخـدم أغراضهـم التجاريـة والشـخصية.

1951

وصـل إلـى دبـي السـيد سـميث، المديـر الإقليمي لشـركة كيبـل آنـد وايرلـس في كراتشي، وبصحبتـه السـيد جاهان، مدير الشركة في البحرين، وأجريا مفاوضات مع حكومة دبي بشأن خدمات التلغراف والتليفون في دبي.

1960

وافـق المغفـور لـه الشـيخ راشـد بـن سـعيد على تأسـيس شـركة هاتـف دبـي والبـدء فـي الاكتتـاب على أسـهمها.

500

مشـترك كان شـرطاً أساسـياً لتأسـيس شـركة هاتـف دبـي حسـب الاتفـاق مـع السـيد إيلـز مديـر شـركة IAL.

1961

صدور أول دليل هاتف عام في دبي فيه أسماء المشتركين والشركات والإعلانات التجارية.

1962

قامت شركة إيراديو السلكية واللاسلكية البريطانية باستيراد هواتف إلى أبوظبي، وتمَّ تركيب أول شبكة هواتف.

1976

تأسَّست شركة اتصالات في 30 أغسطس وكان أول رئيس مجلس لإدارتها عيسى محمد السويدي.

1982

طُرِحَت خدمة الهواتف المتحركة في الإمارات كأول دولة في منطقة الخليج العربي.

5.2

ملايين جهاز إجمالي شحنات الهواتف المتحركة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة خلال العام 2018.

قصة «شركة تليفون إمارة دبي المحدودة» كما جاءت في أول دليل

دليل تليفون دبي

علي عبيد الهاملي

من الوسائل التي تطوَّرت خلال فترة زمنية قصيرة، وشهدت قفزاتٍ هائلةً إلى الدرجة التي جعلتنا نلهث خلفها ونحاول اللحاق بكلِّ جديدٍ فيها. الاتصالات الهاتفية التي كانت ذات يوم ترفاً في مجتمعاتنا، غدت اليوم ضرورة، ووسيلة متاحة بأفضل المواصفات وأكثرها حداثة، حتى لم يعد اقتناؤها حكراً على المقتدرين من أفراد المجتمع، كما كانت في السابق، بل لعلَّ ذوي الإمكانات المادية القليلة أصبحوا أكثر حرصاً وسعياً إلى اقتناء عدد أكبر من أجهزة الاتصالات، بعد أن كان أولئك المقتدرون قبل سنوات هم المالكين الوحيدين لآلة الهاتف التي كانت من عجائب الزمان حينذاك.

حاولت أن أتذكَّر عدد البيوت التي كان أصحابها يمتلكون جهاز تليفون في محيط دائرة الحي الذي نشأت فيه، فلم أجد بيتاً اقتنى أصحابه جهازاً في تلك المرحلة. وقد تأكَّد لي ذلك وأنا أتصفَّح أوَّل دليل هاتف يصدر في دبي، بعد أن أعاد مركز المعلومات للدراسات والبحوث في مؤسَّسة «البيان» طباعته، وهو الدليل الذي صدر في اليوم الأول من يناير 1961، كما جاء على غلاف النسخة التي عُثِرَ عليها ضمن مجموعة وثائق المرحوم ناصر بن عبداللطيف السركال. وقد تصدَّرت الدليلَ في الطبعة التوثيقية لأقدم دليل هاتف لإمارة دبي وثيقةٌ بخط يده، عليه رحمة الله، شرح فيها قصة تأسيس وافتتاح أول مركز لتليفون دبي في شهر يوليو عام 1960، وصدور أول دليل لتليفون دبي في يناير 1961. في قراءة "المعلومات العامة" التي صدرت بها "شركة تليفون إمارة دبي المحدودة" الدليل، متعةٌ أقتطف منها بعض الفقرات التي ربما وجد البعض فيها غرابة في وقتنا هذا. تقول المعلومات:

تستعمل شركة تليفون دبي جهازاً أوتوماتيكياً كاملاً، حيث إنَّ جميع المخابرات تتصل من دون استخدام أي عامل، ولذلك فهي تعدُّ خصوصية وسرية معاً. كيف تحصل على جهاز تليفون؟ تقدم طلباً كتابياً بذلك إلى مدير عام شركة تليفون دبي المحدودة الذي سيلبّي الطلب حالياً (واضح أنَّ المقصود حالاً). أعمال نقل الأجهزة: التصليحات أو التجديد، كل هذه الأعمال إنما يقوم بها موظفو شركة تليفون دبي وحدهم، فلا يجوز للأشخاص غير المصرح لهم التدخل بأيِّ حال في منشآت التليفون. كما أنه يمنع استعمال الأدوات غير المصرَّح بها من قِبَل الشركة نفسها. إنَّ أيَّ فرد من موظفي الشركة لا يحقُّ له أن يطلب أو يقبل أية نقود أو هدايا مقابل أية خدمة يقدمها بخصوص المنشآت التليفونية أو أعمال النقل أو المحافظة والعناية، كما يرجى من المشتركين أن يحيطوا دائرة التليفون علماً عن أية تغييرات تطرأ من هذا القبيل.

تعليمات لاستعمال الجهاز الأوتوماتيكي:

استعمل دائماً العدد المتداول من (دليل التليفون)،

المقتدرون قبل سنوات هم المالكون الوحيدون لآلة الهاتف التي كانت من عجائب الزمـان حينذاك

وعندما يصدر عدد جديد من الدليل أتلف النسخة القديمة (لم أجد سبباً وجيهاً لهذا الطلب الذي لو استجاب له المرحوم ناصر بن عبداللطيف لما وصلت إلينا هذه النسخة من الدليل). طريقة المكالمة: 1) لنفرض مثلاً أنك أردت إجراء مكالمة تليفونية مع الرقم (3276) ارفع السماعة بعناية تامة، كي لا يحدث ارتجاج في قاعدتها وضعها قريباً من أذنك لتسمع دقات منخفضة متواصلة هي ما يدّعى (طنين المزاولة). 2) عندما تسمع هذا الطنين فقط ابدأ بتدوير القرص (أو المزاولة) وذلك بإدخال طرف إصبعك في الثقب المقابل للرقم (3). دوِّر القرص إلى اليمين إلى أن يصل موقفه عند منتهى الدورة، ثمَّ ارفع إصبعك ودع القرص يعود تلقائياً إلى وضعه المعتاد. 3) كرِّر هذه العملية مع الأرقام 2، 7، 6 بالتتابع بالطريقة نفسها. 4) من المهم أن تلاحظ أنَّ عملية التدوير إنما تبدأ مباشرة بعد سماع (طنين المزاولة).

طنين الخط

وتمضي التعليمات شارحة طنين الخط الفاضي وطنين الخط المشغول إلى أن نصل إلى الفقرة الثامنة التي تقول: 8) عندما يدق جرس تليفونك ارفع السماعة وبلّغ عن رقمك وشخصيتك. إنَّ عبارة «هالو» المتداولة لا تدلُّ على شيء، ومن الأفضل عدم استعمالها، لا تعيد (خطأ نحوي والصحيح لا تُعِد) السماعة إلا بعد أن تتمَّ المحادثة. 9) كيفية قطع الاتصال: عندما تتمُّ المحادثة أَعِد السماعة إلى مكانها واحرص على أن تعيد السماعة بطريقة صحيحة؛ لأنَّ عكس ذلك قد يشوّش على الشخص الذي يريد مزاولة رقمك فيما بعد. يجب على المشتركين ألا يتركوا سماعاتهم مرفوعة، حتى ولو كانوا لا يرغبون في استقبال مكالمات من أحد؛ لأنَّ مثل هذا قد يؤدي إلى قطع الاتصال مؤقتاً في مركز التليفون، ولتفادي أيِّ أضرار أخرى تحدث في الأجهزة.

دليل ازدهار تجاري

في الدليل جانب آخر طريف، هو الإعلانات التجارية التي احتوى عليها، وهي على خلاف المتوقّع وفيرة، تدل على ازدهار التجارة في دبي أوائل الستينيات من القرن العشرين، كما تدلُّ على إدراك التجار لأهمية الإعلان، ووعيهم بدوره في الترويج للسلع والخدمات التي يقدمونها. وقد صيغت الإعلانات التي تضمّنها الدليل باللغتين العربية والإنجليزية، لتأتي منسجمة مع الدليل الذي صدر باللغتين في النسخة نفسها. ولأنَّ الإعلان قد تطوّر كثيراً على مدى ستة عقود، هي الفترة التي تفصل بين سنة إصدار الدليل وأيامنا هذه، فإنَّ اللغة التي كُتِبَت بها الإعلانات ربما تبدو غريبة علينا،

على المشتركين ألا يتركوا سماعاتهم مرفوعة حتى ولو كانوا لا يرغبون في استقبال مكالمات من أحد

ولكنها كانت دون شك ملائمة لثقافة الناس في تلك المرحلة وفهمهم وأسلوب مخاطبتهم. وقد اخترت بعض النماذج لما بها من طرافة، فضلاً عن كونها توثّق لبعض أوائل السلع والعلامات التجارية التي دخلت المنطقة. وستلاحظون أنَّ بعض هذه الإعلانات قد عمدت إلى استخدام آيات قرآنية سعياً لكسب ثقة الزبون. كما أنَّ كثيراً من هذه الإعلانات كانت توجّه الدعوة لزيارة المحلات التي ستستقبل زبائنها بكل حفاوة وترحاب.

اقصدوا المطبعة

نبدأ بإعلان للمطبعة العمانية التي اشتهر صاحبها المرحوم السيد هاشم بالظرف، وتُرْوَى عنه في ذلك قصصٌ ومواقفُ كثيرة. يقول الإعلان: اقصدوا "المطبعة العمانية". أعدت المطبعة العمانية لتكون رمزاً لخدمة الجمهور الكريم، فهي دائما ولم تزل تطلب المزيد من المكاتفة من زبائنها المحترمين. شرفوها لتنال منكم شرف الزيارة، ولتقدم لكم ما يلزم من الشؤون الطباعية الحديثة مهما كانت دقتها ومتانتها، تصميماً في العمل، وإنجازاً في الوعد، وتعاهد الله أن تكون عند حسن ظن الجميع (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) صندوق البريد 199 تليفونات: المكتب (8233) المنزل: (8254) دبي ـ ديرة ـ الخليج العربي.

أما شركة نقليات دبي لصاحبها يوسف باقر، فقد صاغت إعلانها على النحو التالي: إلى السادة التجار والمستوردين وأصحاب الأعمال. تقدِّم شركة نقليات دبي لصاحبها (يوسف باقر) استعدادها التام للقيام بجميع أعمال النقل بالسيارات. مواعيد صادقة، أسعار متهاودة، إمكانات كافية، خبرة طويلة. وهي مستعدة أيضاً لبيع ونقل المواد التالية: 1ـ الماء. 2ـ الرمل. 3ـ الطابوق بجميع أشكاله. 4ـ الكنكري. 5ـ أخشاب. 6ـ إسمنت. 7ـ سيارات يومية ومكائن طابوق للأجرة. وزيارة واحدة لإدارة الشركة تظهر لكم صحة هذا القول. وجميع الاتصالات بتليفون رقم (8425) ص.ب: 233 ـ دبي ساحل عمان.

سيارات وطباخون

في الدليل أيضاً إعلان من محلات محمد وجمعة الماجد عن آلة كاتبة تظهر صورة لها وقد كتب أعلاها (هو ذا الجمال والروعة في التصميم)، وتحتها بخط أصغر (رمنكتن راند ـ الآلة الكاتبة الجديدة). وفي الصفحة نفسها صورة لطباخ كتب إلى جانبها (لا غناء لربات البيوت عن طباخ بريموس الأصلي صنع في السويد). وواضح أنَّ المقصود (لا غنى)، وإن كانت (لا غناء) صحيحة أيضاً لغوياً إلا أنها تحدث لبساً. أما إعلان سيارات «لاندروفر» لوكيلها عبدالرحمن الزياني وأولاده، فقد احتوى على عدة أوصاف للسيارة نختار منها: لاندروفر جمل الصحراء ـ لاندروفر لا تعيقه الصخور والرمال ـ لاندروفر بك أب يسهل عليك القنص. وفي إعلان محمد عبداللطيف المانع وإخوانه (مقاولون عموميون للإنشاء

الإعلانات التجارية التي نشرت في الدليل تدل على ازدهار التجارة في دبي أوائل الستينيات

والتعمير - وكلاء منتجات فيلبس في قطر) ذكرت أرقام تليفونات المكتب العام، ومنزل المانع، ومنزل الممثل، ومنزل الموظفين. (ذكر أرقام هواتف منازل المسؤولين والموظفين ظاهرة ملحوظة في كثير من الإعلانات المنشورة في الدليل، ويبدو أنَّ السبب هو حداثة عهد الناس بهذه الخدمة، أو لارتباطها بالنشر في الدليل).

هناك أيضاً إعلانات كثيرة عن راديوهات ومسجلات سييرا، وكورر، وفيلبس، وهزماسترز وايز، وبي. آي، وإيرس، إضافة إلى أنواع عديدة من الساعات التي كانت معروفة في تلك الفترة مثل: رومر، ونيفادا، وفيفر لوبا (كتبت في الإعلان: فيورلوبا) وفلكاد تتوني، ووست إند، ورولكس، وتيودور، وأوميغا، وزنت، وسلطانة. وفي الدليل أيضاً إعلانات أخرى عن بضائع وخدمات متنوعة عديدة، أختار منها الإعلان التالي لأختم به. يقول الإعلان: (ورشة) علي بن أحمد بن زايد. مستعدون لتصليح السيارات بجميع أشكالها، واللحام بالأكسجين، وتصليح المكائن البرية والبحرية على اختلاف أنواعها، وكل هذا بوساطة «المخارط الحديثة» التي تقوم بالعمل قبل أن يرتد الطرف. فهلمّ أيها المواطن لتقديم أعمالك لهذه «الورشة» التي آلت على نفسها خدمة المواطنين بدقة وأمانة وإخلاص في العمل، ونعاهد الله أن ننفذ كلَّ نقطة قطعناها على أنفسنا (إنَّ العهد كان مسئولاً). زوروا محلنا ولو بصورة خاطفة ستجدون كلَّ ما يشرح الخاطر ويبهج النفوس. راجعوا محل علي بن أحمد بن زايد مقابل بناية محمد وجمعة الماجد - دبي - ديرة - الخليج العربي.

532 رقماً

هذه نماذج من التعليمات والإعلانات التي جاءت في الدليل الذي احتوى على 532 رقماً، وهو عدد يزيد على الحد الأدنى الذي اشترطه المستر إيلز، المدير العام لشركة IAL الذي يقول المرحوم ناصر بن عبداللطيف السركال إنه قد ناقش معه الفكرة التي رحَّب بها، وبالمشاركة في تأسيس شركة التليفونات في إمارة دبي، على ألا يقل عدد المشتركين عن 500 عميل، فتعهدوا له بذلك بعد تأسيس الشركة واستعمال مركز التليفون خلال سنة. وكانت النتيجة أن رُفِع الأمرُ إلى الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، عليه رحمة الله، الذي وافق فوراً على تأسيس الشركة، وجرى الاكتتاب في الأسهم. وهذه قصة "شركة تليفون إمارة دبي المحدودة" كما جاءت في أول دليل لها، وهي قصة تستحق أن تُرْوَى؛ لأنها تدلُّ على أنَّ إمارة دبي كانت سبّاقة دائماً إلى كلِّ ما هو جديد، يوفّر لساكنيها رغد العيش، ويسهّل عليهم الحياة، ولأنها أسَّست لكلِّ ما نجده اليوم على أرض دولة الإمارات من تطوُّر في وسائل الاتصال، تتابعه شركات الاتصالات فيها، لتقدم للمقيمين على أرضها أحدث المنتجات، وتوفّر لهم الرفاهية التي ينشدها البشر كلهم.

من مفكـرة «أخبـار دبـــي» (5)

حوار مع المرحوم محمد رفيع يعود إلى الذاكرة مجدداً

اتصالات
etisalat

43 عاماً من العطاء

بقلم: خليل البري

عندما أعلنت الهيئة العامة لتنظيم قطاع الاتصالات في الدولة، تلقيها 29 ألفاً و67 شكوى من عملاء مؤسسة الإمارات للاتصالات «اتصالات»، والإمارات للاتصالات المتكاملة «دو»، خلال العام الماضي "2018"، بشأن الخدمات المقدمة للهواتف المتحركة والثابتة والإنترنت، وأنَّ نصيب «اتصالات» من الشكاوى بشأن خدماتها، وصل إلى 12 ألفاً و569 شكوى خلال الفترة من يناير وحتى نهاية ديسمبر من العام الماضي، عادت بي الذاكرة إلى الوراء نيفاً وأربعين عاماً، وتحديداً إلى 15 أكتوبر عام 1977، عندما نشرت تحقيقاً في العدد التاسع والثلاثين من مجلة «أخبار دبي»، عن المشكلات التي يعانيها الجمهور مع «اتصالات»، وبخاصة مع الهاتف، وأجريت حواراً حينذاك مع المرحوم محمد رفيع الملا، مدير الخدمات الدولية والأرضية في مؤسسة الإمارات للاتصالات.

محمد رفيع

العلاقة الطيبة وكسب ود المشتركين من أولويات عملنا ونحرص دائماً على تمتينها وتقويتها

ولم نكن نعرف حينذاك أجهزة الهاتف الذكية، لكننا عرفنا ما يربط تلك الأيام بأيامنا الحالية، ألا وهو «وحدة الشكاوى» من الخدمات المقدمة، وإن كانت تختلف طبيعتها باختلاف الظروف والتقنيات.

قبل كل شيء أرى أنَّ هذه الشكاوى ما هي إلا نتائج بديهية لخدمات تقدمها المؤسسة لما يزيد على خمسة ملايين مشترك، لكن ما يثلج الصدر إعلان الهيئة العامة لتنظيم قطاع الاتصالات أنَّ 60.2 % من عملاء «اتصالات»، أكدوا رضاهم عن الخدمات المقدمة، فيما كشف 18.08 % عن عدم رضاهم، وكان 21.72 % منهم حيادياً، ناهيك عن أنَّ المؤسسة تمكّنت من إغلاق 97.82 % من الشكاوى المقدمة من عملائها بعد التوصُّل إلى حلول لها خلال أقل من 5 أيام عمل.

وهنا أستحضر قول المرحوم محمد رفيع: «من أولويات الخدمات التي نعمل على توفيرها، الاهتمام، وبالسرعة القصوى، بتصليح الهواتف المعطلة، بحيث لا يستغرق أكثر من 24-48 ساعة». وتالياً نص الحوار الذي أجريته مع رفيع، قبل زهاء 42 عاماً.

أسباب الداء

معظم شكاوى الجمهور حينذاك تتلخَّص في:

- كثرة انقطاعات الخدمة الهاتفية.
- التأخُّر في الاستجابة لإصلاح الأعطال.
- الاعتماد على «كرت غوار، أي الواسطة» للحصول على هاتف.
- كثرة الحفريات التي تؤدي إلى انقطاع الخدمة الهاتفية، ومن دون تنسيق مع المؤسسة.
- تأخُّر موظفي الاستعلامات في الرد على المشتركين.
- ازدياد حالات الإزعاج التي يتسبَّب بها بعض الطفيليين.

حملتُ جملة هذه الشكاوى، وتوجَّهتُ بها إلى مكتب السيد محمد رفيع الملا، أحد شبَّان الإمارات الذين تحمّلوا المسؤولية بجدارة، فكانوا أهلاً لها.

قلت له، هناك شكاوى كثيرة عليكم، قد تصل إلى حد الاتهام، فما ردكم؟

قال: هذا صحيح، ومهما بذلنا من جهد وإنتاج فلن نرضي الجمهور، كما لن نرضي أنفسنا؛ لأنَّ طموحاتنا كبيرة. قد نخطئ خلال عملنا وهذا أمر بديهي؛ لأنَّ من لا يعمل لا يخطئ، ولكن ثق أنَّ جميع الشكاوى الحاصلة الآن، وكل الأخطاء والتراكمات في مجال التقصير، ما هي إلا ثمرة خمس عشرة سنة من عمل شركة الهاتف التي سبقت تأسيس مؤسسة الإمارات للاتصالات، ونحن نعمل على تغطية ما سبَّبته لنا تلك الإدارة من أخطاء وتقصير، ومازلنا نوفي الديون التي خلفتها.

وأضاف: طبعاً هذه ليست اتهامات أو تنصلاً من مسؤولية، ولكنها الحقيقة، «حتى ولو كانت مُرَّة». وسترون أنَّ حجم إنجازاتنا خلال العامين المقبلين يفوق ما أنجزته الشركة السابقة خلال 15 عاماً.

*حسناً ما حجم إنجازاتكم؟

- نحن نعمل على مواكبة التطوُّر والازدهار العمراني والتجاري المطرد في البلاد، كما أنَّ تعليمات الشيخ راشد بن سعيد، نائب رئيس الدولة، حاكم دبي، ومعالي وزير المواصلات تحثُّ على توفير الخدمات الهاتفية لجميع الشركات والضواحي التي أُنشئت حديثاً، ونحن نعمل على وضع هذه التوجيهات موضع التنفيذ.

وكان لدينا حتى نهاية شهر آب

استعنا بلجنة خبراء لتقليص حجم الروتين والاستغناء عن المراحل التي لا لزوم لها

"أغسطس" الماضي (22437) خطاً هاتفياً، في دبي وحدها، موزعة على 10 مقاسم رئيسة وفرعية، وتبلغ السعة العظمى لهذه المقاسم 27300 خط، أي أنَّ هناك فائضاً قدره (4863) خطاً، ولكن لو ألقينا نظرة على لائحة الطلبات، لوجدنا أنَّ لدينا (31580) طلباً، خلال الفترة ذاتها. وهذا يعني أنَّ هناك عجزاً قدره (4280) خطاً، لذلك طلبنا أربعة أجهزة جاهزة سعة كل منها ألف خط، كحل مؤقت، لمواجهة العجز، ريثما يتم إنجاز المبنى الجديد المكوَّن من سبعة طوابق، ويستوعب 20 ألف خط جديد، ليصبح إجمالي خطوط الهاتف 45 ألف خط، تلبّي احتياجات دبي حتى العام 1980 حسب تقديراتنا.

واستطرد محمد رفيع: لو أنَّ الشركة السابقة فكَّرت بحاجة دبي للخدمات الهاتفية في حينه، وعملت على توفيرها، لما وقعنا في هذا العجز والإرباك... وأضاف: لو أتينا إلى مقسم ديرة الرئيس، لوجدنا أنه يضم الآن 12 ألف خط هاتفي، وتبلغ سعته العظمى 15 ألف خط، أي أنَّ هناك فائضاً سنوظفه حتى نهاية هذا العام، ولكن دراساتنا لعام 1980 تقتضي توفير (30) ألف خط، لذلك نعدُّ العدة من اليوم لمواجهة متطلبات المستقبل.

ولو مررنا على بقية المقاسم المتوافرة في دبي، لوجدنا أنَّ إضافات كبيرة، ستشملها خلال العامين المقبلين. فمقسم «بر دبي» ستضاف إليه (7) آلاف خط، ومقسم الراشدية الذي بدأ العمل الشهر الماضي ويضم (1800) خط، سيضاف إليه (2700) خط جديد حتى نهاية العام 1978 ليغطي احتياجات هذه المنطقة السكنية والصناعية المتنامية، وسننتهي مع نهاية هذا الشهر من تمديد «الكابلات» لتتلاءم والسعة المطلوبة.

وكانت هذه الخطوط تعمل من خلال 28 دائرة هاتفية من وإلى الراشدية، سترتفع إلى 60 دائرة، وإلى 120 دائرة حتى العام 1978.

أمّا الضواحي السكنية الجديدة، مدينة بدر ودبي الجديدة، فإنها ستدخل ضمن المخططات المقررة حتى العام 1980 التي باشرنا بها الآن.

زعبيل والمنامة

قال رفيع: قد يتساءل المشتركون في مقسم زعبيل ما هي حصتنا من هذه التوسُّعات؟

نقول لهم: إنَّ لديكم 2500 خط هاتفي الآن سيضاف إليها 2500 خط جديد حتى شهر أيلول "سبتمبر" من العام المقبل.

أمّا مقسم المنامة الذي يغذي القصيص فإنَّ سعته الآن 4000 خط منها 3200 خط حالياً، يضاف إليها 800 خط لتغطية منطقة الصفية بأكملها، ومع هذا سيضاف إليها 5500 خط جديد، حتى سبتمبر المقبل ليغطي احتياجات التوسُّع الهائل في القصيص

السرعة هي من أوليات الخدمات التي ميزت العمل في معالجة الخطوط المعطلة في أقل من 48 ساعة

والمعارض والمباني الواقعة على طريق دبي – الشارقة.

وأضاف: استطاعت المؤسسة خلال الشهر الماضي تمديد 15 كيلومتراً من «الكابلات» في غضون سبعة أيام بين هور العنز في ديرة إلى منطقة الصفا قرب الجميرا. وهذه أضافت 400 دائرة اتصال بينهما، إضافة إلى 600 دائرة موجودة سابقاً بين ديرة وبر دبي عن طريق الخور ليصبح لدينا 1400 دائرة.

هذا بشأن الاتصالات داخل دبي، أمّا بين دبي وبقية الإمارات، فقبل ثلاثة أشهر فقط كان هناك «كابل» بين أبوظبي ودبي قدرته 240 خطاً فقط، أصبح اليوم بطاقة 1200 خط، قابل للاتساع إلى 3600 خط من دون تغيير السلك.

سألته: إذاً لماذا يعدُّ الاتصال بأبوظبي من المستحيلات بعد الساعة العاشرة صباحاً؟

فأجاب: هذا لا يعود إلى انشغال الخطوط، بل إلى قصة أخرى.

وتحدَّث عن الاتصالات بين دبي وكل من الشارقة، عجمان، أم القيوين والفجيرة فقال: بالنسبة للشارقة سيصبح لدينا حتى نهاية 1978 ما مجموعه 720 دائرة ذهاباً وإياباً، وبالنسبة لعجمان وأم القيوين سيتم في نهاية العام الحالي استبدال نظام العمل بوساطة الأجهزة اللاسلكية ذات التطوُّر العالي جداً، المعمول به حالياً إلى العمل بنظام الماكرويف بطاقة 300 دائرة لكلتا الإمارتين.

أمّا الاتصال مع الفجيرة فيتم حالياً عن طريق المقسم الخارجي، وتسعى المؤسسة للحصول على 60 دائرة من

الماكرويف التابع لوزارة الإعلام من أجل الاتصالات الهاتفية، وقد يتم هذا الأمر في نهاية العام الجاري. علماً بأنَّ جميع هذه النظم مؤقتة ريثما يتم إنجاز الكابل المحوري الذي يربط المنطقة الشرقية بجميع أنحاء الدولة والخارج.

إضافة الأرقام.. لماذا؟

منذ ثلاثة أشهر بدأت مؤسسة الإمارات للاتصالات بإضافات جديدة على أرقام الهواتف لتصبح سداسية بدلاً من خماسية، فما العبرة من ذلك؟

أجاب السيد محمد رفيع قائلاً: الغرض هو مجاراة التوسُّع والازدياد المطرد في خطوط الهاتف، وتكرار الرقم الخماسي ليصبح سداسياً يعني التوسُّع في الأرقام ذاتها بصورة لانهائية.

فالرقمان 6 و4 غالباً ما يكونان مشغولين، لكن مع زيادة الأرقام لتصبح 66 أو 44 إذ بات المزيد متوافراً ولم تعد هناك صعوبة في الاتصال بأي منهما.

ومن أجل تسهيل المكالمات أكثر فأكثر بدأنا العمل بنظام يقضي بتفتيت المركزية، إذ كانت جميع الاتصالات من المقاسم تمرُّ عبر مقسم ديرة المركزي، لكنها أصبحت الآن موزعة على المقاسم كافة، وليس من الضروري أن تمرَّ بالمقسم المركزي، وبذلك باتت الاتصالات أكثر سهولة. كما حصلنا على المزيد من خطوط الاتصال الهاتفية بين المقاسم.

أمّا بالنسبة للاتصالات التي تبدأ بالرقم صفر، فسوف نلجأ للأسلوب ذاته. وقد بدأنا بتركيب أجهزة خاصة تقدِّم المزيد من التسهيلات للمشتركين، سننتهي من تركيبها خلال الشهرين المقبلين، حيث من المتوقع أن تتحسَّن الاتصالات بين الإمارات بنسبة مائة في المائة.

الطلبات.. التشابك والأعطال!

سألته: كثير من الشكاوى سمعتها عن تأخُّر تلبية طلبات الهاتف، والبعض يقول إنَّ طلبه يقبع في أدراجكم منذ أكثر من عام، فما ردكم؟

أجاب: كما قلت لك، نحن مازلنا نغطّي العجز المتراكم منذ سنوات نتيجة سوء التخطيط القائم آنذاك، ومع هذا يندر وجود طلب لدينا منذ عام؛ لأنَّ معظم الطلبات المقدمة منذ عام، إن وجدت، يجري تلبيتها وتمديد الهواتف لأصحابها، أمّا إذا كان مكان طالب الهاتف بعيداً عن «الكابل» الرئيس، أي ليس في منطقته «كابل»، فإنه ليس من المعقول أن نلبّي طلبه بمفرده، لما يكلفنا ذلك من جهد ومال. ولكن لو توافر عدد من الطلبات في المكان ذاته، فإننا لن نتأخر في تمديد الهاتف المطلوب.

ومن أجل هذا فإنَّ خطتنا للعام المقبل تقضي بتمديد مزيد من الكابلات إلى المناطق البعيدة، وتغييرها مع الأسلاك، في مناطق عدة، بأخرى ذات سعة أكثر ليتسنّى لنا تلبية كل الطلبات.

وأضاف: من أجل تسهيل الخدمات على المراجعين والمشتركين، افتتحنا مكتبين جديدين في الطابقين الثاني والثامن من مبنى غرفة التجارة والصناعة، يضمّان مراحل الطلبات والشكاوى ودفع الرسوم والاشتراكات. توفيراً للوقت ولتحسين علاقة الجمهور بالمؤسسة، لأنَّ العلاقة الطيبة وكسب ود المشتركين من أولويات عملنا، ونحرص دائماً على تمتينها وتقويتها. ومن أجل ذلك استعنّا بلجنة خبراء لتقليص حجم الروتين، والاستغناء عن المراحل التي لا لزوم لها.

وأكّد السيد رفيع أنه في حال تمَّ تمديد «الكابلات»، وتجديد بعضها الآخر فإنه يمكن للمشترك أن يحصل على طلبه خلال أسبوعين فقط.

التشابك والأعطال

سألت محمد رفيع عن أسباب تشابك الخطوط، والتأخُّر في إصلاح الأعطال.

فأجاب: بالنسبة لتشابك الخطوط، لا شكَّ أنه كان يحدث بكثرة قبل ستة أشهر، لكنه نادر الحدوث حالياً، وأسبابه تُعزا إلى التوصيلات الجديدة، أو التأثيرات

الكهربائيـة علـى المقسـم، أو إصـلاح عطـل معيـن، وأكّـد أنهـا رغـم قلتهـا، فـإنَّ المؤسسـة تعمـل علـى تلافيهـا بصـورة نهائيـة.

أمّـا بالنسـبة للأعطـال، فـإنَّ مـن أولويـات تحسـين الخدمـات الهاتفيـة التـي نعمـل علـى توفيرهـا، الاهتمـام بإصـلاح الأعطـال فيهـا بالسـرعة القصـوى، وبمـا لا يسـتغرق أكثـر مـن 24 إلـى 36 سـاعة، إلا إذا كان العطـل ناجماً عـن قطـع «كابـل» رئيـس؛ لأنَّ إصـلاح ذلـك يحتـاج إلـى وقـت طويـل.

وأضـاف: مـن جملـة أسـباب تأخُّـر الإصـلاح، هـو أنَّ البعـض لا يبلـغ الدائـرة المختصـة بالعطـل بـل يبلـغ غيرهـا، مـا يسـتدعي وقتـاً أطـول لإصلاحـه.

ومـن أجـل تلافـي ذلـك فـإنَّ الدائـرة ستنشِـئ قسـماً خاصـاً لإصـلاح الهواتـف الضروريـة والطارئـة كالصحـة والنجـدة والدوائـر الحكوميـة، ويعمـل هـذا القسـم علـى مـدار السـاعة.

الاستعلامات والرقابة

سـألته عـن أسـباب تأخُّـر موظفـي اسـتعلامات الأرقـام فـي الـرد علـى المشـترك، وقبـل أن يجيـب عـن سـؤالي، رفـع سـماعة الهاتـف وأدار القـرص طالبـاً الرقـم «100»، أي رقـم الاسـتعلامات، فلم تمضِ 3 ثـوان، حتى أجاب الموظف، عندهـا قـال: هـذه الشـكوى كانـت حاصلـة قبـل شـهرين، ولكـن منـذ شـهر رمضـان المبـارك أصبـح التحسـن بنسـبة مائـة فـي المائـة، إذ قمنـا بنقـل المقسـم مـن مكانـه القديـم، واسـتبدلنا الأجهـزة بأخـرى حديثـة، كمـا ازداد عـدد الموظفيـن، وبخاصـة فـي أوقـات الـذروة التـي يزدحـم فيهـا العمـل.

يضـاف إلـى ذلـك أننـا أصبحنـا نركِّـز علـى الناحيـة النوعيـة للموظـف، والتـي تتمثَّـل فـي سـلوكه مـع المتعامليـن، وأصـول معاملتـه للجمهـور؛ فأنشـأنا فصـلاً لتدريـب الموظفيـن القدامـى والجـدد مـن خـلال محاضـرات تلقـى عليهـم، وسـنفتح فصـلاً لتدريـس اللغـة الإنجليزيـة، كمـا سنُنشِـئ قسـماً آخـر لحجـز المكالمـات باللغـة الفرنسـية. ونأمـل أن نحقِّـقَ خـلال العامين المقبليـن قفـزاتٍ مهمَّـةً فـي مجـال الاسـتعلامات، حيـث نسـتعين بـ«الكمبيوتر» الـذي يعطـي الرقـم لطالبـه مباشـرة.

هموم المؤسسة

سـألته أنـه كمـا للجمهـور شـكاواه وهمومـه، فـإنَّ للمؤسسـة كذلـك مـا يقابلهـا مـن همـوم وصعـاب، فمـا هـي؟

قـال: بعـض طالبـي الهواتـف يضجـون بالشـكوى إذا مـا تأخَّـر تحقيـق طلبهـم، ولكـن هـل تعلـم أنَّ هنـاك مبالـغَ كبيـرةً جداً للمؤسسـة علـى بعـض المشـتركين، لمـاذا لا يسـدِّدونها؟ هـم يرفعـون أصواتهـم بالشـكوى مـن أجـل مطالبهـم، ويصمتـون أمـام مطالبنـا! لقـد وضعنـا «300» اسـم علـى اللائحـة، وسـنقطع عنهـم الهواتـف خـلال الشـهر المقبـل مـا لـم يسـدِّدوا مـا عليهـم.

أمّـا شـكوانا الثانيـة فهـي علـى الجهـات التـي تنفِّـذ الخدمـات العامـة، كالمجـاري والطرقـات والإضـاءة وسـواها، كونهـا لا تتقيّـد بالخرائـط التـي نزوِّدهـا بهـا، والتـي تُبَيِّـنُ مواقـع «الكابـلات» فـي الشـوارع، وكـم مـن مـرة تسـبَّبوا بقطعهـا، وبالتالـي شـكاوى المشـتركين علينـا، ناهيـك عـن الوقـت والمـال اللذيـن يُبَـدَّدان مـن أجـل إعـادة تمديدهـا. وضـرب مثـلاً علـى ذلـك، أنَّ عمّـال شـركة مقاولات يمدِّدون المجاري نزعـوا جهـازاً كامـلاً للهاتـف، يسـتغرق تركيبه أربعـة أشـهر كاملـة.

ومـن أجـل ذلـك فإننـا نطالـب هـذه الجهـات بتحـري الدقـة فـي أعمالهـا، كمـا نطالـب الجهـات ذات الاختصـاص بوضـع قانـون يحمـي أسـلاك ومنشـآت الهاتـف مـن الأعمـال غيـر المسـؤولة، وأن تُفْـرَضَ عقوبـاتٌ صارمـةٌ بحـقِّ كلِّ مَـن يتسـبَّب بقطـع «كابـل» هاتفي عـن قصـد، أو دونما قصـد.

مفارقات

فـي سـبعينيات وثمانينيـات القـرن الماضـي كان الجمهـور يعانـي مـن:

- تأخُّـر توصيـل الخدمـات الهاتفيـة، لكـن بعـد أن دخلـت هـذه الخدمـات مجال الفضاء، أصبح يعاني من كثرتها ومنافسـتها لبعضهـا بعضـاً.

- مشـكلات الانقطاعـات وتداخُـل الأصـوات والوقـوف فـي طوابيـر طويلـة للحصـول علـى الخدمـة الهاتفيـة، لكنـه راح اليـوم يعانـي مـن تضخـم الفواتيـر وارتفـاع أسـعارها، والوقـوف فـي طوابيـر لتقديـم الشـكوى والتحقُّـق مـن صحتهـا.

- لـم يكـن المشـترك يعانـي مـن نوعيـة الجهـاز الهاتفـي، كونـه جهـازاً تركبـه «اتصالات» في البيت أو المكتب أو الشركة، وأنواعه ليست كثيرة، لكنه بـات فـي حيـرة تامـة مـن أمـره إزاء مـا يـراه مـن أجهـزة متنوعـة ومبتكـرة تصـل أسـعار بعضهـا إلـى أرقـام فلكيـة.

- تأخُّـر موظـف «اتصـالات» فـي الـرد عليـه، لكنـه راح اليـوم يتهـرَّب مـن الـرد علـى اتصالاتـه، لمـا تحملـه مـن عـروض ومنتجـات تشـكِّل عامـل إزعـاج للمسـتهلك لكثرتهـا وتنوعهـا، واختـلاف أسـعارها.

مدارات

جمال بن حويرب

هذه (مدارات) تُحلِّق بالقارئ في فضاءات متعددة؛ تسلّي الخاطر، وتقدح زناد العقول الذّكية، وتبيّن كثيراً مما خفي على بعضنا في بساتين شتى من العلوم والنظرات العامة في الحياة والثقافة. وقد أنفق الكاتب في تحصيلها سنواتٍ، واستقى مادتها من بطون مئات من المراجع، حتى تحصّل من تلك الأصول المتفرقة مؤلّف واحد يُعدّ زاداً معرفيًّا لطالب العلم والثقافة.

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

لمحة عامة تؤكد تفوق الذكاء البشري وتطور قدرات الإنسان

نشأة وسائل الاتصال عبر التاريخ

خاص مدارات ونقوش

تعد وسائل الاتصال والتواصل بين البشر من أقدم المظاهر الاجتماعيّة الإنسانيّة، وقد تطوّرت الأساليب والوسائل التي سهّلت عمليات التواصل منذ أقدم العصور، وكان لها الفضل في التبادل الحضاري والتقدم البشريّ بصفةٍ عامة، فانتقلت تلك الوسائل من الصوتيّة والبصريّة المُباشرة إلى استخدام طرقٍ تكنولوجيّة تُتيح التواصل عن بعد وبطرقٍ أكثر إبداعاً، حتى وصلت إلى الاتّصال المباشر بالصّوت والصّورة بين أشخاص عدة في أماكن مختلفة من العالم.

جوناس جوتنبرج

وقد تطورت وسائل الاتصال عبر العصور، وحملت كل حقبة خلاصة تجارب العصر الذي قبلها حتى غدا العالم قرية صغيرة بفضل تلك التطورات المتلاحقة لعالم الاتصال البشري.

حقبة ما قبل الميلاد

كانت الشعوب من عام 3500 إلى 2900 قبل الميلاد تتواصل عبر الرسومات على الصخور ونحوها، حيث قام السومريون باختراع الخط المسماري، والقدماء المصريون باختراع الهيروغليفية، ثمَّ تلاهم الفينيقيون باختراع أول أحرف أبجدية. وفي عام 1779 ق.م وضع حمورابي الملك السادس للبابليين في وادي الرافدين أول تشريع قانوني مكتوب في التاريخ، وهو المعروف بمسلة حمورابي. أما في عام 1775 ق.م فقد بدأ الإغريق بابتكار الكتابة من اليسار إلى اليمين واختيار تلفظ الحروف.

وترجع أقدم كتابة على العظام إلى العام 1400 قبل الميلاد، حيث قام الصينيون باستخدامها في كتابتهم. وفي عام 900 قبل الميلاد ظهرت أول خدمة بريدية، وكانت للاستخدامات الحكومية في الصين.

ورق البردي

بعد ذلك، عام 776 ق.م كان أول استعمال للحمام الزاجل في نقل الرسائل، وكانت أولى الرسائل تحمل بشرى أسماء الفائزين بالألعاب الأولمبية إلى أهل أثينا.. وفي عام 530 ق.م أسَّس الإغريق أول شكل للمكتبة في التاريخ.

ثمَّ بين عامي 500 و170 قبل الميلاد بدأ استخدام ورق البردي للكتابة، ما أدّى إلى استخدام الرسل الراجلة لإيصال الرسائل بين عامي 200 و100 قبل الميلاد.

حقبة ما بعد الميلاد

في عام 37 للميلاد استخدم الرومان المرايا في جهاز يدعى هيليوغراف لإرسال الرسائل. ثمَّ بدأ عصر الورق والكتابة العصرية، فقد سجَّل أول ظهور لكتاب مغلف عام 100 للميلاد.

وفي عام 105 قام الصيني تساي لون باختراع الورق الذي نعرفه حالياً. وفي عام 305 ظهرت أول مطبعة خشبية في الصين، حيث نحتوا الرموز على مكعبات خشبية. وفي عام 1450 بدأ ظهور الصحف في أوروبا للمرة الأولى.

لاحقاً، وفي العام 1455 اخترع جوناس جوتنبرج أول طابعة معدنية قابلة لتغيير الأحرف. وفي العام 1560 ظهرت

في العام 1960 أنشئت أول شركة اتصالات في دبي باسم " أميرتـل"

في العام 1976 تأسست مؤسسة الإمـارات للاتصـــالات "اتصالات"

أول كاميـرا تعمـل بتقنيـة الغرفـة المظلمـة أسـماها ابـن الهيثـم "القمـرة".

أمـا فـي العـام 1650 فقـد بـدأت الصحـف بالصـدور يومياً. وتـمَّ اختـراع أول كاتبـة علـى يـد هنـري مـل فـي العـام 1714م. ولأول مـرة نجـح جوزيـف نيبسـي بالتقـاط أول صـورة ضوئيـة عـام 1814، تـلاه نجـاح كارلـوس ويتسـتون باختـراع ميكروفـون أولـي عـام 1821.

وبعـد نجـاح العالـم جوزيـف باختـراع أول تليغـراف كهربائـي عـام 1831، أصبـح للاتصـالات مفهـوم جديـد، وفـي العـام 1835 اختـرع العالـم مـورس شـفرة أو " كـود مـورس"، يتـمُّ مـن خلالها إرسال الرسائل في تراكيب محددة للتعبير عن الحروف

نموذج أول طابعة معدنية

تومس أديسون بجانب أحد مخترعاته

جاليلمو ماركوني بجانب تلغرافه اللاسلكي

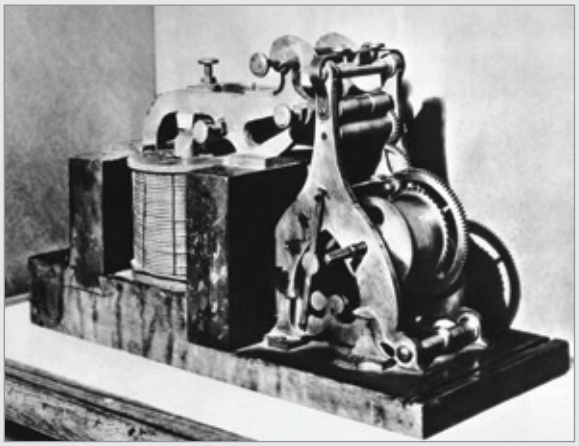

جهاز التلغراف في بداياته الأولى

الأبجديـة.

وبالاعتماد على شـفرة مـورس قام سـامويل مـورس بعمل أول خـط لجهاز الفاكس، تـلاه ألكسـندر بيـن باختـراع تلغـراف بعيد المـدى. وكان عـام 1876 حافـلاً بالاختراعـات؛ إذ نجـح تومـاس أديسـون باختـراع أول طابعـة سـماها "ميموغـراف". وفـي العـام ذاتـه حاز ألكسـندر غراهـام بيـل علـى بـراءة اختـراع الهاتـف.

وفـي العـام 1877 توالـت الاختراعـات؛ إذ اختـرع أديسـون جهـاز "الفونوغـراف" الـذي يسـجل الصـوت علـى أسـطوانة مـن الشـمع، تـلاه إدوارد مايبـرج، الـذي نجـح فـي العـام ذاتـه بالتقـاط أول صـورة فوتوغرافيـة بسـرعة متتاليـة مكنتـه مـن جعـل الصـور تتحـرك.

ولاحقـاً فـي العـام 1894، طـوَّر جاليلمـو ماركونـي جهـاز التلغـراف ليعمـل لأول مـرة لا سـلكياً. وبعـد أربـع سـنوات ظهـر جهـاز المجيـب الآلـي. وبعـد عنـاء طويـل نجـح فلاديميـر باولسـون باختـراع التسـجيلات المغناطيسـية فـي 1899 مـا أسـهم باختـراع السماعات. وفـي عـام 1902 تمكـن جاليلمـو ماركونـي مـن إرسـال أول موجـات راديويـة عبـر المحيـط الأطلسـي حيـث أرسـلها مـن كورنويـل إلـى نيـو فونـد لانـد.

بعـد ذلـك تمكَّـن أديسـون عـام 1910 مـن إرفـاق الصـوت مـع الصـورة المتحركـة. وبعـد أربـع سـنوات أُجـري أول اتصـال تلفونـي عبـر القـارات، ظهـر بعدهـا فـي عـام 1916 الراديـو متغيـر الموجـات.

وبـدأ عصـر التلفـاز عـام 1923، علـى يـد العالـم فلاديميـر زوريكـن، وفـي 1927 ظهـر أول بـث تلفزيونـي فـي إنجلتـرا. وفـي عـام 1930 بـدأ العصـر الذهبـي للراديـو بانتشـاره حـول العالـم. حتـى تمكَّـن جوزيـف باجـن مـن التسـجيل علـى شـريط الفيديـو لأول مـرة عـام 1934، تلتـه جهـود شـتى أثمـرت عـام 1938 حيـث أصبـح بالإمـكان التعديـل علـى الفيديـو بـدون الحاجـة إلـى البـث المباشـر فقـط.

ثورة الاتصالات الفعلية بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين

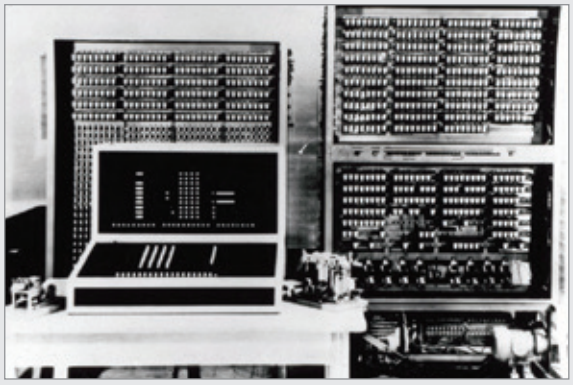

بداية الحاسوب الأولى

تكنولوجيا المعلومات

بدأ عصر تكنولوجيا المعلومات بوضع أول جهاز كمبيوتر "هارفارد مارك1" في الاستخدام العام سنة 1944. تلاه ظهور أول شبكة "نتووركّ" في الولايات المتحدة الأميركية عام 1948، ثم ظهور أول ترانزستور عام 1949.

ولأول مرة بدأ بيع جهاز الكمبيوتر تجارياً عام 1951، وفي العام 1958 تمَّ اختراع الدائرة المدمجة. وفي 1969 ظهرت "الأربانت"، وهي أول شبكة "إنترنت" في العالم.

ثمَّ جاء اختراع الـ" الفلوبي ديسك" عام 1971، ثمَّ القرص المرن "المايكرو بروسيسر".

وفي عام 1979 ظهرت في اليابان أول شبكة هاتف محمول.

وفي العام 1985 بدأ الهاتف المحمول في السيارات

التلفاز أحدث ثورة معرفية وحضارية

مخترعات تواصلية غيَّرت العالم

يمثل التواصل واحداً من أكثر الاحتياجات التي اهتمَّ بها الإنسان منذ أقدم العصور؛ فلولا تطوُّر الاتصالات لما استطاع عالمنا المعاصر أن يصل لما وصل إليه الآن، وقد كان لعدد من المخترعات بالغ الأثر في التطور والتنمية والتواصل بين الناس.

التلغراف

ظهر التلغراف بصورته الأولى في العام 1792، وكان يعتمد على الإشارات البصريّة بين محطاتٍ ثابتة، وكان على مستقبل الرسالة في كلّ محطة إعادة تشكيل الرموز وإرسالها إلى المحطّة التالية، وفي القرن التاسع عشر تمَّ استخدام الكهرباء لأوّل مرة في خطوط التلغراف بعد ابتكار شفرة مورس التي تعتمد على النّبضات الكهربائيّة لنقل معلوماتٍ محدّدة، وتمَّ إنشاء أول خطّ تلغراف كهربائيّ في العالم بين واشنطن وبالتيمور الأمريكيتين.

الهاتف

صاحبَ الهاتف انتشار التلغراف الكهربائي حول العالم، وقد حاول غراهام بل تطوير تقنياتٍ جديدة لإرسال الذبذبات الصوتيّة عبر الأسلاك، فحصل على براءة اختراع الهاتف بعد نجاحه في إرسال صوتٍ بشريّ بتأثير الذبذبات المغناطيسيّة، وقد أدّى اختراع الهاتف إلى تغيير شكل الحياة اليوميّة في العالم مع توسعة الشبكات حول العالم وإضافة شبكات الراديو إلى عمل الهواتف.

الحاسوب وشبكات الاتصال

بدأت هذه المرحلة باختراع الحاسب الآلي الذي تطوَّر شيئاً فشيئاً إلى أن وصل إلى ما وصل إليه اليوم من سيطرة على أدق تفاصيل الحياة؛ حيث استطاع الحاسوب، بفضل التوصل إلى اختراع شبكة الإنترنت، أن يهيمن على عالم الاتصالات، ليصبح فيه التواصل بين الأفراد شبه مجاني في كثير من الأحيان ولا يتطلَّب أيَّ جهد.

ثورة الاتصالات

حدثت ثورة في مجالات الاتصالات في القرنين العشرين والواحد والعشرين، وذلك باختراع التلفاز، ومن بعده استخدم اللّيزر في مجالات الاتصالات، وتطوَّرت شبكة الإنترنت حول العالم، كما تمّ إطلاق الأقمار الصناعيّة المُخصّصة للاتصالات، والتي سهّلت بشكلٍ كبيرٍ من التواصل العالميّ حتى أصبح العالم قريةً صغيرةً وأصبحت العولمة الصيغة الجديدة في التعاملات العالميّة بعد تأثير وسائل الاتصال الحديثة.

في عام 1973 أنتجت شركة موتـورولا أول هاتف محمول

أمير تـــل

«مارتن كوبر» مخترع أول هاتف محمول

في عـام 1973 أنتجـت شـركة موتـورولا أول هاتـف محمـول، ولكنهـا لـم تطلقـه فـي الأسـواق العالميـة إلا بعـد 10 سـنوات. الهاتـف موتـورولا دينـا تـاك اشـتهر وانتشـر بسـرعة فـي العالـم، رغـم سـعره المرتفـع فـي ذلـك الوقـت، والـذي قـدر بنحـو 4000 دولار.

أول مختـرع لهـذا الهاتـف النقـال هـو المهنـدس الأميركـي مارتـن كوبـر الـذي انضـمَّ للعمـل فـي شـركة موتـورولا فـي عـام 1954، فقـدَّم لهـا إسـهامات عـدة.

حصـل كوبـر علـى شـهادة بكالوريـوس فـي الهندسـة الكهربائيـة مـن معهـد إلينـوي للتكنولوجيـا عـام 1950، وحصـل علـى درجـة الماجسـتير مـن المعهـد ذاتـه عـام 1957. كمـا حصـل علـى بـراءة اختـراع عـن اختـراع نظـام الهاتـف اللاسـلكي، أي أنـه أول مختـرع لهاتـف محمـول.

نشـأت فكـرة ابتـكار الهاتـف النقـال لـدى كوبـر فـي أوائـل السـبعينيات، فـي الوقـت الـذي كانـت فيـه الهواتـف الخلويـة أجهـزة غيـر عمليـة، مدمجـة فـي لوحـات عـدادات السـيارات، ويقـوم توصيلهـا فـي صنـدوق المعـدات بمنزلـة جهـاز إرسـال واسـتقبال لا سـلكي، ومصـدر إمـداد بالطاقـة بصنـدوق السـيارة.

لـم يكـن ثمـة قنـوات اتصـال سـوى القليـل مـن القنـوات اللاسـلكية لإجـراء المكالمـات، وغالبـاً مـا كان المسـتخدمون يضطـرون للانتظـار لفتـرة طويلـة لتتـاح لهـم قنـاة اتصـال.

ولـم يكـد كوبـر يضطلـع بمسـؤولية قسـم هواتـف السـيارات فـي شـركة موتـورولا حتـى قـرَّر علـى الفـور ألا تقتصـر وظيفـة هـذه المنتجـات علـى الاسـتخدام داخـل السـيارات فقـط، بـل يتعيَّـن أن تكـون صغيـرة وخفيفـة ليتسـنّى حملهـا طـوال الوقـت. يقـول كوبـر: "تملكتنـي فكـرة تحويـل المنتجـات إلـى أشـياء محمولـة".

منـذ ميـلاد الفكـرة فـي مهدهـا وحتـى ظهـور النمـوذج الأولـي إلـى النـور اسـتغرق الأمـر 90 يومًـا، وذلـك فـي العـام 1972 م عندمـا أعلـن كوبـر عـن مسـابقة تصميـم تحـت رعايتـه بيـن مهندسـي موتـورولا، وفـي حفـل العشـاء الـذي أقامـه فـي ديسـمبر مـن نفـس العـام انبـرى كلُّ مهنـدس ليقدِّم نموذجـه الأوَّلـي، وقـال كوبـر حينهـا: "قـرَّرنا انتقـاء أقـل الهواتـف بريقـاً"، وبالفعـل كان أكثرهـا بسـاطة.

بالانتشـار، وقـد ظهـرت فـي نفـس العـام الأقـراص المدمجـة.

وفـي عـام 1994 أطلقـت الحكومـة الأمريكيـة العنـان لشـبكة الإنترنـت العالميـة لتجعـل الاتصـال سـريعاً لأقصـى الحـدود. حتـى وصـل عـدد مسـتخدمي الإنترنـت عـام 1996 إلـى 9 ملاييـن مستخدم.

وفـي العـام 1999 قامـت شـركة "إنتـل" بصناعـة كمبيوتـرات بانتيـوم 3، مـا جعـل الكمبيوتـرات الشـخصية سـريعة جـداً.

الاتصالات في الإمارات

جـاءت دولـة الإمـارات فـي مقدمـة الـدول العربيـة فـي مؤشـر الجاهزيـة الشـبكية لعـام 2016 الصـادر عـن المنتـدى الاقتصـادي العالمـي. ويظهـر ذلـك الحالـة القويـة لقطـاع الاتصـالات فـي الدولـة، ونجـاح الحكومـة فـي تحقيـق إنجـازات مهمـة فـي قطـاع تقنيـات المعلومـات والاتصـالات، لدفـع عجلـة النمـو الاقتصـادي الاجتماعـي.

وحقَّقـت دولـة الإمـارات تقدمـاً كبيـراً فـي مؤشـر جاهزيـة البنيـة التحيـة للاتصـالات؛ إذ انتقلـت مـن المركـز 25 عالميـاً إلـى المركـز الثانـي علـى مسـتوى العالـم.

وينعكـس هـذا التقـدم فـي البنـى التحتيـة للدولـة علـى تسـريع وتعزيـز إنجـازات الدولـة فـي مجـال الـذكاء الاصطناعـي وإنترنـت الأشـياء والبيانـات الضخمـة والنقـل ذاتـي الحركـة والطائـرات المسـيرة.

في الأسطر التالية نلقي الضوء على تاريخ نشأة الاتصالات في الإمارات.

- فـي العـام 1960 دشـن المغفـور لـه الشـيخ مكتـوم بـن راشـد آل مكتـوم أول شـركة اتصـالات فـي الإمـارات هـي "شـركة تلفـون دبـي المحـدودة" بحضـور المعتمـد البريطانـي ومديـر شـركة وايرليـس البريطانيـة. وسـميت لاحقـاً باسـم "أميرتـل". وكان المرحـوم محمـد رفيـع الملا أول مديـر مواطن للشـركة، ومديـر فرعهـا فـي دبـي.

- فـي أغسـطس 1976 قـرَّر مجلـس الـوزراء فـي اجتماعـه الـذي عقـده برئاسـة الشـيخ حمـدان بـن محمـد آل نهيـان، نائـب رئيـس مجلـس الـوزراء إطـلاق اسـم (اتصـالات) علـى مؤسسـة الإمـارات للاتصـالات بـدلاً مـن كلمـة (أميرتـل).

-فـي العـام 1976 تأسَّسـت مؤسسـة الإمـارات للاتصـالات "اتصـالات"، لتحظـى بعـد ذلـك بسـمعة مرموقـة كمؤسسـة حديثـة وعاليـة التقنيـة توفـر مختلـف خدمـات الاتصـالات كالهاتـف الثابـت والإنترنـت فـي كافـة أنحـاء دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة. حيـث أسـهمت فـي جعـل الدولـة واحـدة مـن أكثـر دول العالـم تقدمـاً فـي قطـاع الاتصـالات.

وتحتـل المؤسسـة موقعـاً متقدمـاً ضمـن أكبـر 140 شـركة فـي العالـم وفقـاً لتصنيـف "فايننشـال تايمـز" فيمـا يتعلـق برأس المـال، وكذلـك المرتبـة السادسـة ضمـن أفضـل 100 شـركة ومؤسسـة فـي الشـرق الأوسـط فيمـا يتعلـق بالإيـرادات ورأس المـال وفقـاً لمجلـة "ذي ميـدل إيسـت" اللندنيـة. وتعـدُّ مـن أكبـر الشـركات المحليـة إسـهاماً فـي الميزانيـة الاتحاديـة وفـي دعـم الفعاليـات الاجتماعيـة. وتبلـغ قيمـة علامـة "اتصـالات" التجاريـة حوالـي 7.7 مليـارات دولار.

وتعـدُّ مؤسسـة الإمـارات للاتصـالات "اتصـالات" أحـد أبـرز مـزودي خدمـات الاتصـالات فـي المنطقـة، إذ تقـدم العديـد مـن الخدمـات الحديثـة، بـدءاً مـن الخدمـات الهاتفيـة الأساسـية ومـا يتصـل بهـا مـن خدمـات البريـد الصوتـي وتحويـل المكالمـات والخدمـات الإضافيـة، وكذلـك خدمـات الجيـل التالـي مـن الهواتـف الثابتـة، وكذلـك أحـدث خدمـات الهاتـف المتحـرك وأكثـر خدمـات تبـادل البيانـات تطـوراً كبروتوكـول التطبيقـات اللاسـلكية (WAP) وخدمـة التراسـل بالحـزم العامـة (GPRS) وخدمـات الجيـل الثالـث للهواتـف المتحركـة (3G) وخدمـة التراسـل بالوسـائط المتعـددة (MMS) إلـى جانـب خدمـات الإنترنـت والتجـارة الإلكترونيـة والكيبـل الهاتفـي ومقاصـة بيانـات الهاتـف المتحـرك "جـي إس إم".

ويعـدُّ اسـتخدام الهواتـف المتحركـة فـي دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة مـن بيـن أعلـى المعـدلات العالميـة، ولـدى "اتصـالات" اتفاقيـات تجـوال مـع أكثـر مـن 265 مشـغل هواتـف متحركـة فـي معظـم دول العالـم. وتوفِّـر عـدة خيـارات للاتصـال منهـا بطاقـة "واصـل" للهواتـف المتحركـة "جـي إس إم" المدفوعـة مقدمـاً.

وفـي العـام 2015 أصـدر صاحـب السـمو الشـيخ خليفـة بـن زايـد آل نهيـان رئيـس الدولـة، حفظـه اللـه، مرسـوماً بقانـون اتحـادي رقـم 3 لسـنة 2015 بخصـوص تعديـل بعـض أحـكام القانـون الاتحـادي رقـم 1 لسـنة 1991 فـي شـأن مؤسسـة الإمـارات للاتصـالات. ونـصَّ المرسـوم علـى أن تُحَـوَّل مؤسسـة الإمـارات للاتصـالات لتصبـح شـركة مسـاهمة عامـة، ويُعَـدَّل اسـمها ليصبـح مجموعـة الإمـارات للاتصـالات وتُعْـرَف اختصـاراً بـ«مجموعـة اتصـالات».

«دو» شركة الإمارات للاتصالات المتكاملة

تأسَّسـت "دو"، شـركة الاتصـالات التـي تتخـذ مـن دبـي مقـراً لهـا، عـام 2006، وبـدأت بتقديـم خدمـات الاتصـالات فـي مجـال الهاتـف المتحـرك والثابـت، وخدمـات الإنترنـت المعروفـة بالحـزم العريضـة، وخدمـات التلفـاز والبـث التلفزيونـي عبـر الإنترنـت للأفـراد والشـركات فـي جميـع أنحـاء دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة. كمـا أطلقـت الشـركة خدمـات الأقمـار الصناعيـة لشـركات البـث التلفزيونـي فـي العـام 2007.

ومنـذ نشـأتها، شـهدت الشـركة توسُّـعاً سـريعاً وحقَّقـت أربـاحـاً متزايـدة، حيـث بلـغ عـدد المشـتركين بخدماتهـا أكثـر مـن 8 ملاييـن مسـتخدم مـن الأفـراد وأكثـر مـن 80 ألفـاً مـن الشـركات.

وتتـوزع ملكيـة "دو" بيـن كلٍّ مـن حكومـة دولـة الإمـارات، و"مبادلـة"، و"دبـي القابضـة"، ومسـاهمين أفـراد.

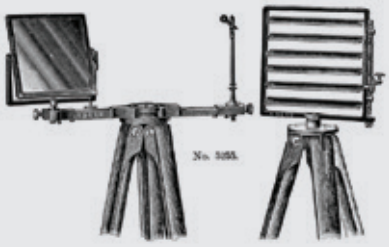

- إضافة إلى ذلك، تشمل قائمة مقدمي خدمات الاتصالات السلكية واللاسلكية المرخصة في الدولة:

• شركة الميسان للاتصالات عبر الأقمار الصناعية: وهي مرخصة لتقديم خدمات البث عبر الأقمار الصناعية.

• مؤسسة الاتصالات المتخصصة "نداء"، وهي مرخصة لتوفير خدمات الاتصالات السلكية واللاسلكية المتخصصة لجميع الهيئات الحكومية وشبه الحكومية والخاصة.

تأسَّست مؤسسة الاتصالات المتخصصة "نداء" بموجب القرار السامي الصادر عن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي في 4 يونيو من عام 2008.

تعدُّ "نداء" المزود الوحيد والحصري لشبكات الاتّصالات الأمنية المعتمدة في إمارة دبي، ويضمُّ كادرها الوظيفي مجموعة من الخبراء التقنيين المختصين ذوي الكفاءات العالية في مجال الاتصالات المتخصصة.

أثبتت مؤسسة نداء ريادتها في مجال توفير خدمات الاتصالات اللاسلكية المتخصصة الآمنة والمتكاملة التي تتوافق مع أعلى المعايير والمواصفات الفنية الدولية المعتمدة الخاصة بالأمن والسلامة، إضافة إلى تطبيق أفضل الممارسات الإدارية والتشغيلية لتلبي بذلك احتياجات ومتطلبات وتطلعات الحكومة، فضلاً عن سوق الاتصالات المتنامي باستمرار.

• شركة الثريا للاتصالات، وهي مرخصة لتشغيل خدمات الاتصالات المتنقلة عبر الأقمار الصناعية في الدولة.

• شركة "الياه للاتصالات الفضائية"، شركة مرخصة لتشغيل خدمات الأقمار الصناعية في دولة الإمارات. وقد أطلقت أول قمر صناعي إماراتي "ياه سات" على مرحلتين؛ الأولى في العام 2010، والثانية في 2011 بتكلفة إجمالية بلغت 6 مليارات درهم إماراتي.

يغطي القمر مناطق إفريقيا وشبه القارة الهندية إضافة إلى منطقة الخليج العربي، كما يقوم بالنقل المباشرة من أوروبا إلى هذه المناطق دون الحاجة إلى قمر صناعي آخر يربط بينهما.

الياه 1

أُطلِقَ القمر الصناعي الياه 1 في إبريل 2011، وهو أول قمر صناعي تُطلقه أريان سبيس لصالح دولة الإمارات العربية المتحدة. يُقدّم هذا القمر الصناعي خدمات الاتصالات الفضائية للقطاعات الحكومية عبر نطاق الترددات العالية الجودة لجمهور متنوع ثقافياً.

الياه 2

أُطلِقَ الياه 2 في عام 2012 ليُقدّم خدمة الإنترنت الفضائي "ياه كليك" التي تتيح الوصول للإنترنت لمختلف المؤسسات التجارية والأفراد في مناطق الشرق الأوسط، وأفريقيا، ووسط وجنوب غرب آسيا.

الياه 3

أطلق الياه 3 في عام 2018، ليوسِّع تغطية الخدمات المقدمة عبر النطاق الترددي Ka من الياه سات لعشرين سوقاً إضافية، لتصل إلى 60% من سكان القارة الأفريقية وأكثر من 95% من سكان البرازيل.

الهيئة العامة لتنظيم قطاع الاتصالات

تأسَّست الهيئة العامة لتنظيم قطاع الاتصالات في الدولة طبقاً لمرسوم القانون الاتحادي رقم 3 لسنة 2003 (قانون الاتصالات)، في شأن تنظيم قطاع الاتصالات في الدولة؛ ومنذ تأسيسها، تخطَّت الهيئة التوقعات من خلال إنجاز الأهداف المرسومة لها في وقت قياسي.

وتستمد الهيئة أهدافها من قانون قطاع الاتصالات ولائحته التنفيذية والسياسة العليا لقطاع الاتصالات. وتتلخص هذه الأهداف بضمان تأمين خدمات الاتصالات في جميع أنحاء الدولة، وإنجاز تحسين الخدمات بما يتعلق بالنوعية والتنوع، وضمان نوعية الخدمات بما يتطابق مع شروط الرخصة من قبل المرخصين، وتشجيع خدمات الاتصالات وتقنية المعلومات في الدولة، والترويج لقطاع الاتصالات، وتطويره بالدولة من خلال التدريب والتنمية وتأسيس مؤسسات تدريبية ذات صلة بالقطاع، إضافة إلى إيجاد الحلول للخلافات التي قد تطرأ بين المشغلين المرخصين، وتأسيس وتطبيق إطار للسياسات والتنظيمات، والترويج للتكنولوجيا الحديثة، والإسهام في تطوير الموارد البشرية في الدولة،

وتشـجيع البحـوث والتطويـر، بمـا يضمـن لدولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة دوراً إقليميـاً متقدماً في مجال الريادة في قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومـات.

عُهِد إلى الهيئـة العديـد مـن المسـؤوليات المرتبطـة بقطـاع الاتصـالات ونظـم المعلومـات داخـل وخـارج دولـة الإمـارات. كما أنَّ الهيئة مسـؤولة كذلـك عـن تمثيـل الدولـة فـي العديـد مـن المحافـل الدوليـة، حيـث تـمَّ انتخابها لمقعـد فـي مجلـس الاتحـاد الدولـي للاتصـالات التابـع لمنظمـة الأمـم المتحـدة للأعـوام 2006-2010، وهي عضو في الشبكة العربيـة لهيئـات تنظيـم الاتصـالات (آرنـت) والمجموعـة العربيـة لإدارة الطيـف التـرددي والمكتـب الفنـي فـي مجلـس التعـاون لـدول الخليـج العربيـة.

ومـن الأهـداف التي تسـعى الهيئـة لتحقيقها عند ممارسـة الاختصاصات المقررة لها وفقاً لأحكام القانون ما يلي:

- تأميـن وصـول خدمـات الاتصـالات لجميـع أنحـاء الدولـة بما يكفـل تلبيـة احتياجـات الراغبيـن فـي الاسـتفادة مـن هـذه الخدمات.
- الارتقـاء بمسـتوى الخدمـة التـي يقدمهـا قطـاع الاتصـالات بمـا يحقِّـق صالـح المشـتركين.
- تقيـد المرخـص لهـم بمعاييـر الجـودة فـي الأداء والالتـزام بالشـروط المحـددة فـي التراخيـص الممنوحـة لهـم.
- تشـجيع وتطويـر وتنميـة صناعـة الاتصـالات ونظـم المعلومـات فـي الدولـة.
- العمـل علـى تطويـر وتحديـث نظـام الاتصـالات فـي الدولـة عـن طريـق التدريـب والتأهيـل وإنشـاء مؤسسـات التعليـم ذات العلاقـة، والحصـول علـى أحـدث الأجهـزة والمعـدات والتسـهيلات التي توصلت إليها تقنية الاتصالات.

مدينة دبي للإنترنت

تعـدُّ أكبـر مجتمـع لتكنولوجيـا المعلومـات والاتصـالات في منطقـة الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا، تقـع فـي قلـب إمـارة دبـي بالقـرب مـن قريـة المعرفـة ومدينـة دبـي للإعـلام.

أُنْشِئَت بأمرٍ من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتـوم نائـب رئيـس الدولـة رئيـس مجلـس الـوزراء حاكـم دبـي، رعـاه اللـه، فـي عـام 1999، وهـي منطقـة اقتصاديـة حـرة وتعـدُّ قاعـدة اسـتراتيجية لكبـرى الشـركات العالميـة والمحليـة، تهـدف إلـى تعزيـز روح الابتـكار والإبـداع فـي دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة.

تساعد المدينة على تحقيق التنمية الاقتصادية والتطوُّر التكنولوجـي والاجتماعـي، وتوفِّـر بيئـة إبداعيـة للشـركات العاملـة فيهـا والتـي تضـمُّ مكاتـب فـي أرجائهـا، وتوفِّـر خدمـات الاتصـالات لأغلـب القطاعـات الاقتصاديـة فـي دبـي، بما في ذلـك قطاع النقـل والتجزئة والضيافـة والبنـاء والصناعـة والتعديـن.

تضـمُّ مدينـة دبـي للإنترنـت أكثـر مـن 1600 شـركة وأكثـر مـن 24000 موظـف، تعمـل أكثـر الشـركات فـي مجـال البرمجيـات وأجهـزة الحاسـوب الآلـي وخدمـات الاتصـالات والإنترنـت وتكنولوجيـا المعلومـات، وأهمهـا أوراكل، وماسـتر كارد، وكانـون، وديـل، وهيوليـت بـاكارد، وفيسـبوك، ومايكروسـوفت، وآي بـي أم، وسامسـونغ، وأكسنتشـر، وكاسبيرسـكي، وبـلاك بيـري، وهـواوي، وغوغـل، وأمـازون الإمـارات، وكريـم.

يوميات
جمال بن حويرب

الجزء الأول

العبيكان
Obeikan

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

أكبر متحف إسلامي في الشرق الأوسط يشمل مدينة طينية متكاملة

نشأة الدرعية
عاصمة الدولة السعودية الأولى

قراءة جغرافية في تحولات مدينة شهدت الكثير من الازدهار والحروب

بقلم محمد الفارس*

تقع الدرعية في شرقي مرتفعات جبل العارض، شمال غرب مدينة الرياض بمسافة خمسة وعشرين ميلاً، وحيث إنَّ وادي حنيفة الجميل يخترق أحياءها، فلا بدَّ من الحديث ولو باختصار عن هذا الثلاثي الجغرافي المترابط؛ جبل العارض ووادي حنيفة والدرعية الزهراء.

الدرعية تاريخ يدل على عراقته

أولاً - جبل طويق: عارض اليمامة هذ اسمه في كتب البلدانيات القديمة وقد ذكره الفارس الشهير عمرو بن كلثوم حيث قال:

وأعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدي مصلتينا

ومن الشعر الشعبي:

وخشوم طويق فوقنا كن وصفها
صقيل السيوف اللي تجدد جرودها

ويبلغ طول عارض اليمامة 1200 كم من طرفه الشمالي الواقع في الثويرات شمال الزلفي إلى طرفه الجنوبي المسمّى جبل هويمل بالقرب من نجران. وتسيل أودية عارض اليمامة باتجاه الشرق، ويتميَّز وادي حنيفة شيخ أودية العارض عنها، فيسيل جنوباً ثمَّ يميل إلى الشرق.

ثانياً - وادي حنيفة

ويسمّى عرض اليمامة أو عرض بني حنيفة في كتب البلدانيات القديمة. ويبلغ طوله في العصور المطيرة 540 كم، يبدأ من رحبة الهدار بالقرب من بلدتي سدوس والعيينة مارّاً بالسهباء وحرض وينتهي بسبخة الحمر ببطن الطرفاء جنوب منفذ البطحاء بالقرب من الخليج العربي. أمّا في العصر الحديث فطوله 160 كم فقط ويقف الوادي عند رمال الدهناء.

سدود الوادي

توجد عدة سدود في وادي حنيفة، منها سد كبير بأعلى الدرعية يختزن ما يقرب من مليونين ونصف المليون متر مكعب من مياه الأمطار. كما تقع على ضفتي وادي حنيفة عدة ملحقات تابعة لمحافظة الدرعية هي: العودة، والعلب، والملقى، والمغيدر، والوصيل، وأبا الكباش والعمارية.

ثالثاً - الدرعية الزهراء

الدرعية الحديثة التي أعاد عمارتها عام 850 هجرية الأمير الجليل مانع المريدي جد الأسرة المالكة الكريمة على آثار بلدة قديمة اسمها «غبراء»، سمّيت باسم سكانها «بنو غبراء» من بني حنيفة. حيث قال ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد» 2/12: «ومن بكر بن وائل أيضاً:

العرب في الإسلام يسمّونه «شهر الصيام» لكن بقية الشهور يلفظون أسماءها مفردة من دون إضافة كلمة «شهر» إليها

بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أهل حجر من وادي اليمامة، ومنهم بنو غبراء أهل غبيراء المعروفة في الدرعية. وبنو قران أهل القرينة وما حولها المعروفة قرب بلد حريملاء، وبنو يشكر من بكر بن وائل أهل ملهم». كما قال الأستاذ محمد الفهد العيسى في موضوعه القيم عن الدرعية في مجلة العرب: «من هذا نرى أنَّ بلدة الدرعية، كان يطلق عليها قديماً اسم «غبراء» ثمَّ أصبحت فيما بعد تعرف بالعودة، وترك الاسم القديم لأنَّ مدلوله عند أهل نجد غير مستحسن».

وبلدة غبراء هي التي عناها الشاعر طرفة بن العبد في معلقته حين قال:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت أفراد البعير المعبدِ
رأيت بني غبراء لا ينكرونني
ولا أهل ذاك الطراف الممددِ

وطرفة هنا واضح وصريح العبارة في ثنائه على أهل غبراء وأهل الطريف الذين آووه وأكرموه بعد أن تجنبته العشيرة كلها نتيجة لإسرافه وتبذيره للمال.

وتعذر على بعض الشرّاح اللغويين فهم معنى البيت؛ لعدم معرفتهم بديار البكريين في عارض اليمامة، حيث إنَّ هناك مجموعة من بلدان العارض سميت باسم أهلها، منها قران وسدوس والسحيمية وغبراء وبئر بني سحيم. وطرفة بكري وائلي من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وقد ذكر طرفة بلدة ملهم أيضاً التي اشتهرت بنخلها، حيث يقول:

تظل نساء الحي يعكفن حوله
يقلن: عسيب من سرارة ملهما

وبعد مرور الزمن وتعاقب الأجيال تغيَّر اسم بلدة غبراء إلى العودة، ومن ثمَّ إلى الدرعية التي أصبح لها شأن كبير قبل وبعد نصرة الإمام محمد بن سعود، رحمه الله، لدعوة التوحيد.

الدرعية قبل نصرة دعوة التجديد

في القرن الحادي عشر الهجري، وقبل نصرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمائة سنة، اعتبر الجغرافي العثماني

الدرعية بلونها الأشهب تشهد على تطور المملكة

أبوبكر الدمشقي (توفي 1102 هـ) مؤلف كتاب «مختصر الجغرافيا الكبير» - مدينة الدرعية - بلدة محورية مركزية في إقليم اليمامة. واختصها بالذكر حيث قال إنَّ قصبة الدرعية تقع في أعلى وادي حنيفة، وشيوخها يسمون آل مريد. ونسب لها معظم مسافات الطرق بينها وبين بلدان إقليم اليمامة وعالية نجد. وذكر أنَّ الدرعية تقع على طريق الحاج القادم من الشرق ومن الأحساء. انظر كتاب «مختصر الجغرافيا الكبير» الصفحات (282-287).

كل هذه الإشارات الجغرافية لمدينة الدرعية، إضافة إلى الوثيقة العثمانية المؤرخة في عام 981 هجرية إبان إمارة - جد الأسرة الكريمة آل سعود - إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، التي تسلط الضوء على الدور التاريخي الذي تولته الدرعية في تأمين الحجاج والسابلة، وتوحي للباحث بتنامي أهمية الدور السياسي والأمني لإمارة الدرعية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين.

مؤرخون وتاريخ

أمّا تاريخ الدرعية الجهادي، بعد قيامها بنصرة دعوة التوحيد وبذلها الغالي والنفيس، والتضحية في سبيل الدعوة بالنفس والمال والولد، بقيادة الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله، فقد تناوله جمع غفير

من المؤرخين العرب، والمسلمين، والغربيين بدءاً من نيبور وحسين بن غنام وعثمان بن بشر وإبراهيم بن عيسى، حتى زمن عبدالله فيلبي وعبدالله بن خميس ومحمد الفهد العيسى، وكوكبة أخرى من المؤرخين والباحثين.

وممّا يدلل على ضخامة التضحيات في تاريخ الدرعية الجهادي فقدان الإمام محمد بن سعود اثنين من أبنائه في معارك المرحلة الأولى من تأسيس الدولة السعودية الأولى هما فيصل وسعود. وبهدف ضم مدينة الرياض التي أصبحت عاصمة الدولة السعودية الثانية، فيما بعد تكلّفت الدرعية خلال عشرين عاماً من الجهاد والتضحية خمساً وثلاثين غزوة لضم الرياض.

وبين عامي (1157-1232 هجرية) بلغت رقعة الدولة السعودية الأولى في الجزيرة العربية من بادية الشام والعراق شمالاً حتى الربع الخالي واليمن جنوباً ومن الساحل الشرقي وعمان شرقاً حتى الساحل الغربي.

تخريب الدرعية: في عام (1232هـ) تداعت قوى إقليمية

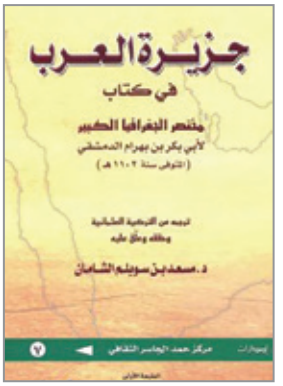

غلاف كتاب مختصر الجغرافيا

الجغرافي العثماني أبو بكر الدمشقي

وذلك بقيادة محمد علي باشا حاكم مصر الذي سخَّر جيشاً جراراً مؤخرته في مصر ومقدمته في نجد وبدعم مادي قوي من الدولة العثمانية لمحاربة الدولة السعودية الأولى. وقد ارتكب الجيش الغازي عدة مجازر في نجد أدت إلى سقوط الدرعية وهدمها. ولكن الله أراد نهوض الدولة السعودية الثانية بقيادة وحكمة الإمام البطل تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود مؤسِّس الدولة السعودية الثانية الذي اختار مدينة الرياض عاصمة للدولة ومقراً للحكم فيها.

الدرعية اليوم حدائق غناء

المشروع السياحي لبوابة الدرعية

لا بدَّ من التنويه أنه في يوم 20 يوليو 2017م، وافق الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود على إنشاء هيئة تطوير بوابة الدرعية.

ومشروع بوابة الدرعية، مشروع سياحي ثقافي حيوي ضخم يقام على مساحة 1.500.000م2، يضم أكبر متحف إسلامي في الشرق الأوسط، وسيشمل مدينة طينية متكاملة تضمُّ مكتبة الملك سلمان، إضافة إلى أسواق ومجمعات تجارية ومطاعم ومواقع احتفالات.

*باحث في التاريخ السعودي

مختارات من شعر

د. محمد عبده غانم

اختيار وتقديم

د. شهاب غانم

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

محاولة تاريخية أفشلها الجهل باللغة العربية
مصحف البندقية

محمد التداوي*

كنـت علـى موعـد مـع التاريـخ.. ولأكـون أكثـر تحديـداً فلقـد كان موعـداً مـع محطـة مهمـة مـن تاريـخ الطباعـة بالحـروف العربيـة المتحركـة، وهـي قصـة تعـود لخمسمائـة عـام تقريبـاً. والمعـروف أنَّ بدايـات الطباعـة بالحـروف العربيـة لا تـزال تحيـط بهـا ظلمـة كبيـرة، مـا عـدا بعـض النقـاط المضيئـة باكتشـافات مهمـة لمـادة علميـة أرشـيفية تـؤرِّخ لذلـك الحـدث. ونقطـة الضـوء فـي موضوعنـا هـذا هـي أقـدم محاولـة لطباعـة القـرآن الكريـم بحـروف عربيـة متحركـة بغـرض إنتـاج كميـات أكبـر بغـرض الربـح.

اعتـاد العـرب والمسـلمون منـذ البدايـات علـى النسـخ التقليـدي بخـط اليـد، ومـا وَصَلَنـا مـن مكتشـفات لمخطوطـات قديمـة كُتِـبَ عليهـا نـصٌّ مـن القـرآن ممثَّـلٌ فـي عـدد مـن الآيـات أو السـور بحسـب حجـم الرقعـة، وكذلـك النـص المتمثِّـل فـي آيـات القـرآن الكريـم المشـكلة لجملـة المخطـوط. وهـي طريقـة تعـود إلـى بدايـة التدويـن بـأمر مـن رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم، لكتبـة القـرآن بالحـروف السـائدة حينـذاك، والتـي كانـت تختلـف عمّـا لدينـا الآن مـن حـروف مسـتخدمة، بسـبب إضافـات النقـط والعلامـات خـلال القـرن اللاحـق.. وهـي الفتـرة الأهـم التـي تطـوَّرت فيهـا اللغـة، خاصـة الناحيـة المكتوبـة منهـا، وتمايـزت الحـروف عـن بعضهـا بعضـاً بعـدما كانـت قريبـة الشـبه لدرجـة عـدم القـدرة علـى التفريـق بيـن بعـض الحـروف لغيـر العارفيـن بهـا.

ومـع ازديـاد وتوسُّـع حركـة الفتوحـات الإسـلامية ازداد الطلـب وقبلـه الحاجـة الكبيـرة إلـى مصاحـف تُرسَـل للبلـاد المختلفـة حتـى لا يصيـر اختـلافٌ فـي الكتابـة، وهـي الخطـوة التـي بدأهـا الخليفـة الثالـث عثمـان بـن عفـان، رضـي الله عنـه، وظلَّـت حركـة التدويـن والكتابـة باليـد إلـى بدايـات عصـر النهضـة الأوروبيـة وكانـت أيضـاً بدايـات أو لنقـل مرحلـة مـن مراحـل التأخُّـر بالنسـبة للشـرق العربـي المسـلم تحديـداً.

مصحف باغنيني

لـم أقصـد مـن العنـوان تصنيفـه «مصحفـاً» مـن المصاحـف المشـهورة والمطابقـة لمـا توارثـه المسـلمون جيـلاً بعـد جيـل، وقـد تعـدَّدت تسمياتـه؛ حسـب النسـب مـرة لمدينـة البندقيـة ومـرة للناشـر، حتـى يتبيَّـن مـا لـه ومـا عليـه مـن وجهـة نظـر باحـث فـي التاريـخ ربمـا

صورة ضوئية من النسخة الوحيدة المتبقية من أول محاولة لطباعة القرآن الكريم في مدينة فينسيا ـ إيطاليا

يصـادف رأيـه صواباً، وربمـا يخطـئ فيُسـخِّر اللـه مَـن يُصحِّـح خطـأه. وهـذا الكتـاب الـذي نحـن بصـدد الحديـث عنـه وإفـراد مسـاحة لـه فـي «مـدارات ونقـوش» يُعـدُّ أولـى المحـاولات لطباعـة القـرآن الكريـم، وهـو ثالـث كتـاب طُبِـعَ بالعربيـة بعـد مزاميـر النبـي داود والإنجيـل، لذلـك نحـن أمـام شـاهدٍ لـم يصـلْ إلينـا أقـدَمُ منـه، لا مـادة ولا ذكـر فـي تاريـخ طباعـة القـرآن الكريـم.

لـم يتجـرّأ أحـدٌ قبـل عـام 1537 ميلاديـة، علـى محاولـة طباعـة الكتـاب المقـدَّس للمسـلمين، لكنهـم فـي مدينـة فينسـيا (البندقيـة) فعلـوا ذلـك، لأنهـا مدينـة تجـار فـي المقـام الأول وكانـت تتمتّـع بعلاقـات تجاريـة واسـعة مـع الشـرق، وهـذه العلاقـات مسـجلة عبـر عـدة قـرون مـن خـلال المراسـلات الرسـمية وغيـر الرسـمية والمحفـوظ معظمهـا فـي المكتبـات القديمـة فـي الشـرق والغـرب، وكانـت فـي مجملهـا تفسّـر السياسـات التـي تبنّاهـا تجـار البندقيـة للانفتـاح علـى الأسـواق الشـرقية.

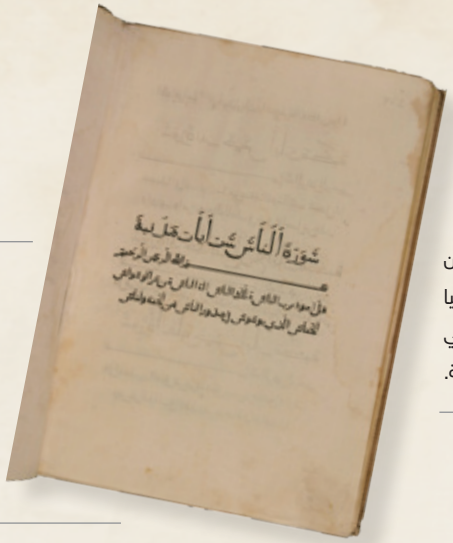

صورة ضوئية من النسخة الوحيدة المتبقية من أول محاولة لطباعة القرآن الكريم في مدينة فينسيا ـ إيطاليا
سورة الناس من آخر الكتاب وتظهر الضمة منونة مشاركة علامة الفتحة في الظهور على عكس معظم النسخ المطبوعة.

لا نعرف تحديداً كيف بدأت الفكرة في رأس الناشر باجانينو باغانيني وابنه ألساندرو، اللذين قاما بهذه المحاولة والتي لا شكَّ كان لا بدَّ منها على طريق التطوُّر في إنتاجية الكتب. وفي الوقت الذي أقدَمَ فيه الغربُ على محاولةٍ كتلك، كان عالم الشرق تحت سيطرة الخلافة العثمانية، حيث ترجموا ما طالته أياديهم من مخطوطات عربية نُقِلَت إلى الغرب بصور مختلفة، ولاقت محاولات طباعة القرآن الكريم باستخدام التقنيات الحديثة صدىً كبيراً من قبل شيوخ السلطان في إسطنبول، وقابلوا أيَّ مساس بالكتاب الكريم برفض قاطع، وهو ما أبعد الفكرة عن رأس أيٍّ مغامر بها في تلك الحالة.

إرث تاريخي

ذهبت إلى مكتبة القديس فرنشيسكو ديلا فينيا في مدينة فينسيا بعد اتفاق مسبق مع الأب رينو، حيث استمر الاتصال بيننا لبعض الوقت، في محاولة مني لتبديد قلقه من أن يُسبب أي نشر حول المطبوعة ردود فعل غاضبة مثل وقت طباعته، وخاصة أننا بصدد إرث تاريخي إنساني. أمّا عن ماهية النص والأخطاء التي وقع فيها، فأكرِّر أنها غير متعمدة من قِبَل الناشر، وادعاء مَن أشرفَ على التصحيح المعرفةَ باللغة العربية وبالنصِّ القرآني في هذا المشروع، وهو ما ظهر عكسه جلياً من خلال الأخطاء الكثيرة.

في بيان الخطأ

قابلني الأب رينو في فينسيا وسمح لي بالاطلاع والتحقيق في نظريات سابقة حول سبب هذه الأخطاء، وخاصة محاولة الإجابة عن السؤال المهم.. هل الخطأ مقصود؟ أعني أخطاء هذه المحاولة.. والحقيقة أنني قرأت معظم ما كُتِبَ من تحليل علمي وعقائدي ونظري وحتى الآراء التي كتبت في الموضوع..

وكوَّنت رأياً عندي يفيد بأنَّ مجرد المحاولة شيء يُحسب لهذا الناشر، أمّا عن الأخطاء فلا أعتقد بأيِّ حال من الأحوال أنها مقصودة، خاصة أنّه مشروعٌ مكلفٌ، وكما يبدو كان الغرض منه ربحياً بحتاً، وربما تسبّب هذا الخطأ في إفلاس صاحب المطبعة كما هو معروف من خلال بعض ما كُشِفَ عن محاولة أحدهم شراء الحروف العربية من باغنيني

تـــاريخ المطبوعـــة

1- بيان الملكية يدلُّ على أنَّ هذه النسخة كانت في حيازة القس المستشرق تيزيو أمبروجو ديللي البونيزي (بافيا 1469 1540-م).

2- في عام 1620 نشر توماس فان أربا، أحد المستشرقين الهولنديين الكبار، كتابه عن مبادئ اللغة العربية.
ملحق به فهرس عام للكتب المطبوعة باللغة العربية
جاء في هذا الفهرس أنَّ القرآن طُبِعَ عام 1530 بالبندقية

3- تساءل توماس فان: هل أحرقت الكنيسة في روما نسخ القرآن؟

4- القس الألماني يوهان هانز والمستشرق المعاصر لتوماس فان سألا: مَن الذي أحرق قرآن البندقية؟
وأجاب حسب توقعاته وتحليلاته.. بأنه البابا في روما.

5- فيلهلم أرنست تنز في عام 1692م، أشار هو أيضاً إلى موضوع المحرقة البابوية.. وأورد أسباب الحرق من وجهة نظره بأنَّ الرب لا يسمح بذلك، واستدل بموت طابِعه في العام 1538م، وأيضاً بالمالك الأول للنسخة القس تيزيو.

6- فترة كبيرة من الغياب ولا ذكر عنه.
لا يوجد دليل فعلي على دور الكنيسة في حرق الكتاب.. بل النسخة الوحيدة الموجودة من هذا المشروع حفظتها مكتبة كنيسة سان فرنشيسكو.

7- في العام 1987م اكتشفت البروفيسورة أنجسيلا نوفو هذه النسخة والتي قامت بدراستها وعرضها على بعض المهتمين بالقرآن.

8- جاءت محاولات لاحقة لمحاولة طباعة القرآن كلها خارج العالم العربي والإسلامي.

9- مصحف قازان أول المصاحف المطبوعة في مدينة إسلامية عام 1801م.

10- انتظر العرب حتى عام 1923 لاستقبال أول مصحف مطبوع في العالم العربي في القاهرة بإشراف الأزهر الشريف.

الكتابة باليد كانت الوسيلة الوحيدة للتدوين حتى بدايات عصر النهضة في أوروبا

صفحة من مصحف موثق تقابلها صفحة من مصحف باغنيني ويلاحظ جلياً بعض ما سردنا من أخطاء.

للعمل بها في باريس، ولا أحد يعلم إلى أين انتهت تلك الحروف.

464 صفحة هي مجمل المطبوعة، التي اطلعت عليها بداية عن طريق العرض على الحاسوب حتى أدقق في النسخة الضوئية، ومن خلالها استطعت أن أدلل على بعض الأخطاء التي لا أعدها مقصودة بأيِّ حال من الأحوال، الخطأ المكرَّر والذي سيظهر جلياً هو استبدال التاء دائماً محل الثاء، وهذا الاختلاف له يتكرَّر أيضاً مع حرف الدال الذي استبدل بالذال، وأيضاً لم يكرّر من علامات التشكيل أكثر من علامة الفتحة (َ) متجاهلاً الضمة (ُ) والسكون (ْ) .. إلخ.

دراية لغوية

التحليل الواقعي للمحاولة من خلال النص يتطلَّب دراية بجوانب كثيرة جداً ومتعددة لا بالنصِّ القرآني فقط، بل بالتاريخ والثقافة المعاصرة، وبتاريخ الأحداث، بل وبلهجات العرب، فمن منّا لا يعرف تغيير بعض الشعوب لنطق بعض الحروف واستبدال بعضهم لحرف مكان حرف، كاستبدال التاء بالثاء مثل ما هو متداول في مصر مثلاً فينطق الناس (التلات) وهم يقصدون الثلاثاء، وفي بلاد أخرى تستبدل الذال بالدال.. إلخ.

الرد على من قال إنَّ هذه المطبوعة لم تكن إلا ما يسمُّونه في عالم الطباعة (بروفة طباعة)، وهو ما لا يستقيم أبداً مع المعطيات التي لدينا؛ فالبروفة كما يسمونها لم تكن بنفس الأسلوب المتّبع الآن، ثمَّ إنَّ رفاهية إنتاج نسخة لتصحيح الطباعة لا تتطلّب طباعته كاملاً كما هي الحال مع هذا الاكتشاف.

هناك أيضاً من لم يعمل يوماً في مجال الطباعة والنشر ولا يعرف عن خباياه غير القليل، ومع ذلك

جدول يبين اختلافات بعض الآيات في سورة البقرة مقارنة مع المصحف الشريف المعروف عند المسلمين:

اسم السورة	مصحف باغنيني	المصحف الشريف	رقم الآية
سورة البقرة	في قلوبهم مرض	فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا	الآية 10
سورة البقرة	إنهم السفهاء	ألا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ	الآية 13
سورة البقرة	عمتي عليكم	نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	الآية 40
سورة البقرة	اهبطوا مصير	اهْبِطُوا مِصْرًا	الآية 61
سورة البقرة	والمساكين وابن السبيل	وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا	الآية 83
سورة البقرة	يتلو عليهم آياته	يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ	الآية 129
سورة البقرة	وأنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض	وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ	الآية 145

يُعتقد أنَّ مدقق مصحف باغنيني كان موريسكياً لم يتقن العربية جيداً

يورد آراء يرجحها على غيرها مع أنه لم يتحقّق من نظم الطباعة منذ البدايات وحتى الآن، فالإجابة عن سؤال كيف تصنع كتاباً يختلف جوابه باختلاف السنين وباختلاف التقنيات المستخدمة في طباعته.

ربما كان هدف الناشر الربح من وراء طباعة أهم وأقدس كتب المسلمين بكميات كبيرة وبكتابة موحدة في وقت أقصر بكثير من النساخ الذين تتباين سرعاتهم وأشكال حروفهم، ولذلك نستطيع التمييز بين المخطوطات بحسب طريقة النساخ في عصر من العصور.

الفكرة جيدة وطموحات باغنيني وابنه الكبيرة أدّت إلى البدء في تنفيذ الفكرة التي أشعلت فتيلها درايتهما بأهمية كتاب المسلمين ومعرفتهم بأسعار النسخ المنسوخة منه، وتهافت الأثرياء من المسلمين على اقتناء نسخة منه في بيوتهم، وبعضهم يتهادونها كما هو الحال مع أمراء المماليك في مصر والشام، وسلاطين بني عثمان في الأناضول، وهم كانوا الهدف الأقرب كسوق لمنتجهم كما رجحت الدكتورة أنجلا.

هل استعانوا بمحقِّق على دراية باللغة العربية؟ الإجابة حتماً نعم.. ولربما قدَّم نفسه لهم كحافظ من الحُفّاظ؛ لكننا لا نعلم شيئاً عنه ولا عن ثقافته ودرايته بالقرآن غير ما وردنا من مراجعته وتصحيحه في ترتيب الحروف، من خلال بعض الصور الضوئية لبعض الصفحات والتي يبدو جلياً منها عدة نقاط:

1- هذا المحقِّق ليس عربياً مُلِمّاً باللغة المكتوبة والمنطوقة في نصِّ القرآن الكريم.

2- زيادة الكلفة في طباعة الحروف العربية بأشكالها المختلفة في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها، بفتحة أو بكسرة أو بضمة أو بسكون أو بشدة.. إلخ، والعارف بالقرآن يعلم كمَّ العلامات والإشارات التي قد لا يستخدمها الناشر في طباعة أخرى غير القرآن الكريم، ربما لم يستطع أن ينتج علامات منفصلة للحروف لذلك مضى في الطباعة دون التمييز بين الفتحة

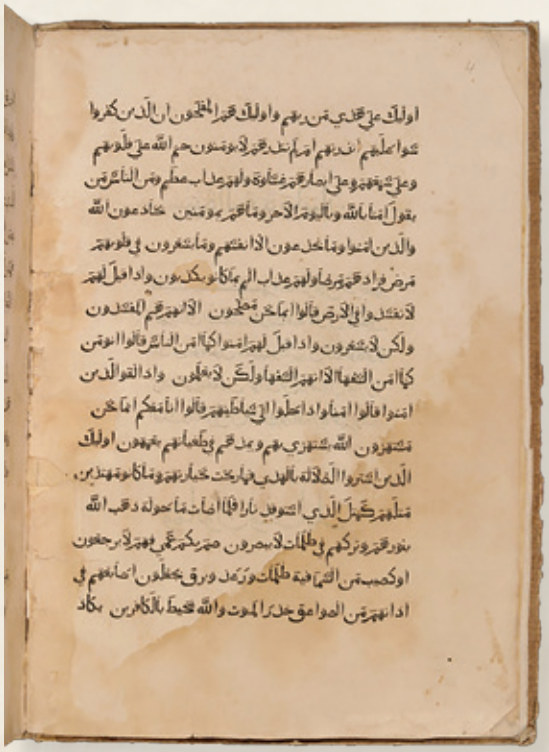

صورة ضوئية من مصحف بخط يدوي متأخر

والضمة والكسرة.

3- هناك طبقة سمَّوْها الموريسكين، وهم بقايا المسلمين العرب الهاربين من جحيم ملوك الأندلس الجدد، وقد اشتهروا بلكنات غريبة على العربية الصحيحة وكتبوا بطرق تختلف عن العربية الكلاسيكية، ربما كان المصحِّح من هؤلاء.

4- في الجزء المتقدم أُدْخِلَتْ علامات أكثر لتنوين الحروف، ويظهر ذلك في الاختلاف في الصورتين المنشورتين مع المقال؛ إحداهما لصفحة من سورة البقرة، وسورة الناس التي ترى فيها بكثرة علامات غير الفتحة السائدة في سورة البقرة.

5- لو كان هذا الاختلاف زاد على الضمة وتنوينها

لاقت محاولات طباعة القرآن باستخدام التقنيات الحديثة رفضاً قاطعاً من العثمانيين

في السور المتقدمة من المطبوعة، لكنت من المؤيدين لفكرة تجربة الطباعة المسمّاة «البروفة» لكن هذه القلة تؤكد بما لا يدع عندي مجالاً للشك أنَّ باغنيني ومصحّحه أقدما على تقديمه كنسخة أصيلة لربما لاقت هجوماً من الطرفين؛ المسلمين لرفضهم أولاً تلك التقنية الغريبة عن عالمهم، والمسيحيين لرفضهم أن يُنْشَرَ كتاب أعدائهم المسلمين عن طريق مطابعهم.. وهذا الرفض وذاك الهجوم أدَّيا في النهاية لنهاية المغامرة التي كلفتهم الخسارة، ودلت بعض الوثائق على مفاوضات لبيع الحروف لصالح أحد الطبّاعين في باريس.

أسئلة كثيرة

لم يكن هذا الكتاب بالنسبة إليَّ اكتشافاً؛ لأنني لا أذكر كم مرة بحثت في هذا الموضوع لارتباطي منذ صغري ببيت يحفظ القرآن ويعلمه ويحتفظ بنسخة منه بخط يد ربما تعود إلى القرن السابع عشر، ومخطوط القرآن هذا جعل أسئلة كثيرة تدور في رأسي وبحثت عن تاريخ الحرف، ولم يكن غريباً أن يرتبط ذلك بتاريخ المصحف وتاريخ نسخه ثمَّ طباعته التي تأخر عنها أهله، واحتفظ منذ فترة بنسخة من صورة ضوئية لأول صفحة منه، وكنت قد قرأت ما استخلصته الدكتورة أنجلا نوفو وكتابات أخرى حول الموضوع، وأيضاً قرأت عن شهرة حرق صاحب المطبعة لكل النسخ التي طبعها، وذلك لا يعرف أسبابه غير ما قدّم من تخمينات لا تعتمد على دليل ملموس حتى الآن سوى ما ورد في كتابات بعض المهتمين باللغة العربية من المستشرقين الأوربيين والذين كانوا في الأغلب رهباناً وقساوسة.

نقص الأدلة

عموماً هناك كمٌّ كبير جداً من التعليقات التي أستطيع أن أسردها حول المطبوعة ما بين تشكيك أطراف بسبب عدم كفاية الأدلة التاريخية التي تثبت أو تنفي العام 1537م إلى 1538م كفترة محددة لإتمام العمل، مدللين بتواريخ أخرى حول تاريخين سابقين؛

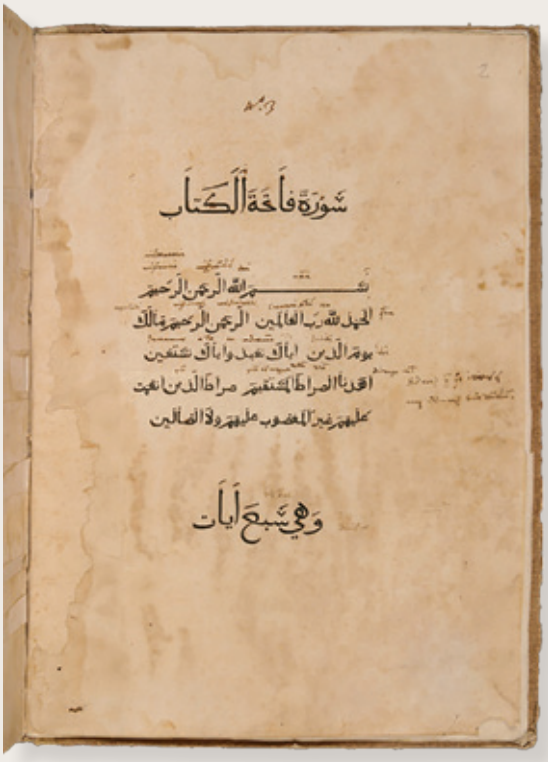

صورة ضوئية من النسخة الوحيدة المتبقية من أول محاولة لطباعة القرآن الكريم في مدينة فينسيا ـ إيطاليا
فاتحة الكتاب سورة الفاتحة وتظهر علامات الفتحة الكثيرة على كل الحروف.

أحدهما 1530م، في حين لم يُكْتَبْ على المخطوطة أيُّ تاريخ مثبت، إضافة إلى تشكيك أحد الدارسين في نظرية أنجلا نوفو حول الاكتشاف، وهو ما ستثبته أو تنفيه دراسة أكثر عمقاً وتحليلاً، خاصة من الناحية التاريخية، حيث إنَّ تحليله أو تصنيفه كمصحف لا يصحُّ بالمفهوم العقائدي، لكنه يصحُّ من الناحية التاريخية، حيث أُرِّخَ كأول محاولة لطباعة القرآن الكريم بحروف متحركة، وأصبح مشهوراً في التاريخ باسم «مصحف باغنيني».

* **باحث في التاريخ**

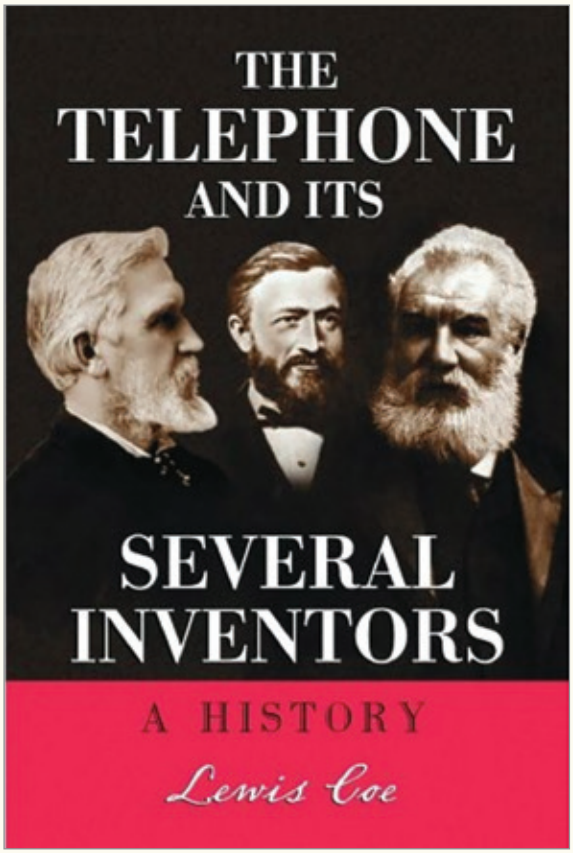

عنوان الكتاب: الهاتف ومخترعوه الكُثر: نظرة تاريخية
المؤلـــــف: المؤلف: لويس كو
تـاريخ النشــر: 22 سبتمبر 2006
دار النشـــــر: ماكفارلاند وشركاه للنشر

في 7 مارس 1876، أصدر مكتب براءات الاختراع الأمريكي، لصالح مخترع شاب يدعى ألكساندر غراهام بيل، ما يُعدُّ أحد أكثر براءات الاختراع قيمة على الإطلاق، وكان يحمل عنوان «تحسينات على التلغراف». وفي واقع الأمر فقد ضمنت براءة الاختراع هذه لألكساندر غراهام بيل المبادئ الأساسية التي يعمل وفقها الهاتف. في اليوم نفسه الذي قدَّم فيه بيل طلب براءة الاختراع، قدَّم إليشا غراي إشعاراً بنية التقدُّم ببراءة اختراع، أو ما يسمّى «وثيقة براءة اختراع أولية».

أطلقت هذه الصدفة الشرارة الأولى للكثير من الجدل حول ما إذا كان ألكساندر غراهام بيل هو المخترع الحقيقي للهاتف. قبل ذلك، وفي أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر، طوَّر يوهان فيليب ريس نسخة من هذه الآلة، لكن ادعاءاته ضد بيل باءت بالفشل بسبب المرافعات المتخبطة التي تقدَّم بها محاموه أثناء استعراضهم لجهازه في المحكمة.

يستعرض هذا الكتاب الروايات حول العديد من المخترعين الذين قاموا بتطوير التلفون، ويعاين ادعاءاتهم ضد براءة الاختراع الممنوحة إلى ألكساندر غراهام بيل، كما يقدِّم الكتاب وصفاً موجزاً للهاتف إضافة إلى تاريخ تطوُّر نظام الهاتف.

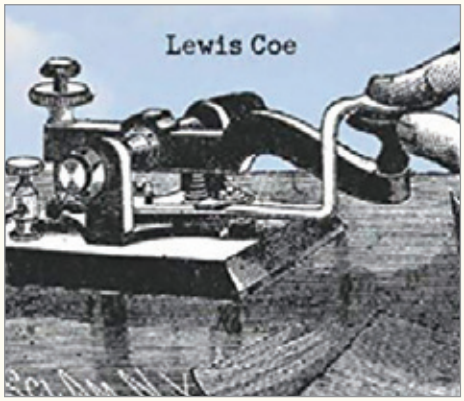

المؤلف في سطور:

لويس كو، مؤلِّف كتب تهتم بتاريخ وتطوُّر الهاتف مثل كتاب «الراديو اللاسلكي» عام 1996م، وكتاب «التلغراف» عام 1993م. وكان يعمل موظف تلغراف في شركة روك آيلاند للسكك الحديدية، كما كان عضواً في «نادي مورس للتلغراف». ونظراً لخبرته الواسعة في مجال الإذاعة والتلغراف، استعانت به الحكومة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية في عدة مناصب سرية.

جمال بن حويرب سلَّط الأضواء على تاريخهم

رمضان في كتب الرحّالة

حكايات وقصص وعادات

نظّم مركز جمال بن حويرب للدراسات، محاضرة بعنوان «رمضان في كتب الرحّالة»، تحدَّث فيها سعادة جمال بن حويرب، المدير التنفيذي لمؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة رئيس المركز، حيث تطرَّق إلى حكايات وقصص الرحّالة الذين جابوا ديار المسلمين وكتبوا عنها وعن عاداتها خلال الشهر الفضيل، من أمثال: ابن بطوطة، وناصر خسرو، وابن جبير. أدار المحاضرة الشاعر والصحافي حسين درويش.

جمال بن حويرب متحدثاً خلال الندوة

وقال سعادة جمال بن حويرب: أحببت أن نلتقي في رمضان لنتداول موضوعات خفيفة، بعيداً عن السياسة وهمومها، خاصة ونحن نرى ما يدور حولنا من مصائب وحروب وكوارث، فما نراه في الشام واليمن يعتصر قلوبنا ألماً، لكن ما بعد العسر إلا اليسر، وستعود أمتنا، بعون الله، إلى قوتها وعزتها، وهنا أذكّر برؤية والدنا المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الذي توفي وهو يحسن الظن بالله وبأمته العربية، وكان يقف إلى جانب قضايا هذه الأمة حتى آخر يوم من حياته، والمغفور له الشيخ زايد، لم يغيّر نظرته إزاء أمته العربية، مهما حصل، وكان يرى أنَّ الشعوب تبقى، والدول تبقى، وغير ذلك يزول.

وقال سعادته: حديثنا اليوم عن شهر رمضان المبارك، فأصله مأخوذ من رمض الجوف، وما يعانيه من عطش في الحر، والعرب في الجاهلية عرفوا هذا الشهر من خلال كتبهم، وكانوا يصومونه 30 يوماً، لكنهم ذهبوا، لاحقاً، إلى قساوستهم، واتفقوا معهم على زيادته عشرة أيام ليصبح صيامهم 40 يوماً، وهذا ما نجده لدى المسيحيين اليوم.

والعرب في الإسلام يسمّونه «شهر الصيام»، لكن بقية الشهور يلفظون أسماءها مفردة، أي من دون إضافة كلمة «شهر» إليها. ويعدُّ رمضان من أعظم الشهور، ففيه الصيام، وليلة القدر، التي هي خيرٌ من ألف شهر.

أمّا عن رمضان في كتب الرحّالة، فقال بن حويرب: قبل الإسلام كان هناك رحّالة كُثر، وعندما جاء الإسلام راح أصحاب الرحلات يسافرون شرقاً وغرباً، لكن أغلب الرحلات جاءت من بلاد المغرب؛ تونس والجزائر والمغرب، ومن بلاد الأندلس، فكانوا يأتون إلى الحج، ثمَّ ينطلق بعضهم إلى بلاد العالم الواسعة، حتى وصلوا إلى إندونيسيا والصين، أمثال: الرحّالة العربي ابن بطوطة.

ولعلَّ أغلب الرحالة القادمين من بلاد المغرب كانوا يرون في بلاد المشرق الأصل في العلوم والدين والتمدُّن في شتّى المجالات، لذا كانوا يشدون الرحال بكثرة إلى الديار المقدسة؛ بلاد الشام والعراق.

ابن بطوطة

ثمَّ انتقل بن حويرب للحديث عن أشهر الرحّالة العرب والمسلمين الذين وردت سيرهم في التاريخ، وما زال الناس يتداولونها حتى يومنا هذا، فقال: لعلَّ من أشهر الرحّالة العرب والمسلمين وأقدمهم، الرحّالة ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بـ «ابن بطوطة»، الذي وُلِدَ في طنجة، وبعدما درس الشريعة قرَّر السفر حاجّاً، وبهذا بدأت رحلة أسفار دامت أكثر من 30 سنة، وهو ليس رحّالة فقط، بل مؤرخاً وقاضياً وفقيهاً مغربياً.

وتابع: بدأ رحلته الكبرى عام 725م ليطوف بالمغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر، والهند والصين وجاوة وبلاد

العرب في الإسلام يسمّونه «شهر الصيام» لكن بقية الشهور يلفظون أسماءها مفردة من دون إضافة كلمة «شهر» إليها

التتار وأواسط إفريقيا، ثمَّ عاد إلى المغرب وبدأ في إملاء أخبار رحلاته التي جمعها في كتاب سمّاه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وهذا الكتاب تُرْجِمَ إلى معظم لغات العالم، ولقَّبت جامعة كامبريدج «ابن بطوطة» في كتبها بـ «أمير الرحّالة المسلمين والوطنيين»، ويعدُّ الرحّالة العبقري «ابن بطوطة» صاحب رحلات ومخاطر ومغامرات في طريق استكشاف العالم.

واستطرد بن حويرب: قد كتب ابن بطوطة كثيراً عن شهر رمضان المبارك، منه على سبيل المثال، يوم الركبة، وتبعاً لما جاء في رحلاته فإنَّ أغلب حكّام البلاد وأمرائها وأعيانها كانوا يستقبلونه أحسن استقبال، ويكرمونه أفضل تكريم، ومعظمهم كانوا يستضيفونه في منازلهم، ومن هذا المنطلق زار ابن بطوطة قاضي مدينة أبيار، في مصر، «عز الدين المليجي الشافعي»، وتصادف أنَّ الزيارة كانت يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان، أي «يوم الركبة» كما سمّاه الرحّالة، أو «يوم ارتقاب هلال رمضان» كما يسمّيه أهالي أبيار.

وبيّن بن حويرب أنَّ الوصف الذي جاء به ابن بطوطة لاستطلاع هلال رمضان في مدينة أبيار، هو أنَّ المدينة بأكملها يسير أهلها ليلاً بشموع مضاءة وبفوانيس متلألئة، وأنَّ جميع حوانيتها مضاءة بالشموع، ليوحي بمنظرٍ خلّاب يستحقُّ التدوين في رحلات ابن بطوطة.

في دمشق

وأضاف بن حويرب: ويقول ابن بطوطة عن رحلته إلى دمشق التي دخلها عام 726 هـ: «في دمشق لا يفطر أحد من سكانها وحده، البتة، حيث نجد طبقة الأمراء والأعيان، وطبقة التجار، والعامة، ويقصد بهم عامة الناس، من الفقراء والقادمين من البادية. الأمراء والأعيان يقيمون موائد الإفطار في قصورهم، والتجار يقدّمون طعام رمضان في بيوتهم ومنازلهم، أمّا الفقراء والقادمون من البادية فإنهم يفطرون في الساحات والمساجد، حيث يحضر كلٌّ منهم ما عنده من طعام، ويضمُّه إلى مائدة جماعية يشارك فيها سكان الحي أو المنطقة».

رحلات ناصر خسرو

وتطرق المحاضر، بعد ذلك، إلى رحلات وقصص الرحالة

ناصر خسرو، المولود في خراسان، مبيناً أنه كتب في ثلاثة من الأصناف الأدبية: الرحلات والشعر والفلسفة، وكل منها يشكّل نافذة لنا إلى شخصيته، وقام برحلات مهمة زار فيها مصر والجزيرة العربية، ووصل إلى الرياض عام 1036م.

قصص الرحالة

وعقب ذلك، تطرَّق بن حويرب إلى الرحّالة الأديب والمؤرخ محمد بن علي، الذي وُلِدَ في العراق 1309 - 1262م، موضحاً أنه يظهر من مقدمة كتابه أنه صاحب ثقافة كبيرة، ملمٌّ بعلوم مختلفة، يهتمُّ باقتناء الكتب ومطالعتها، ويعلي شأن العلم والعقل، ويحفظ الكثير من أقوال الحكماء وشعر الشعراء، وله باعٌ كبيرٌ في التاريخ.

كما تحدَّث بن حويرب عن رحلة ابن جبير الأندلسي، وعرَّف به، ثمَّ أشار إلى أنه من أشهر الرحّالة المسلمين الذين قاموا برحلات إلى المشرق العربي، ودوَّن خلال رحلته الكثير من المعلومات التي تعدُّ وثائق من الدرجة الأولى؛ لأنه حسن الملاحظة وصريح العبارة، فكانت رحلته مصدراً مهماً للباحثين في مجال التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرنين السادس والسابع الهجريين.

ابن الطقطقي

أغلب الرحالة القادمين من بلاد المغرب كانوا يرون في بلاد المشرق الأصل في العلوم والدين والتمدُّن

هو الرحّالة الأديب والمؤرخ محمد بن علي، وُلِدَ في العراق 1309 - 1262 م ويظهر من مقدمة خطبة كتابه أنه صاحب ثقافة كبيرة، ملمٌّ بعلوم مختلفة، يهتمُّ باقتناء الكتب ومطالعتها، ويعلي شأن العلم والعقل، ويحفظ الكثير من أقوال الحكماء وشعر الشعراء، وله باعٌ كبير في التاريخ، لكن مجلسه كان يعجُّ بأنواع الأنس والشعر، فإذا ما دخل شهر رمضان، أحضرت له الكتب، والسير الدينية، ومال إلى التعبُّد والزهد، مكثراً من الاقتباس القرآني، ومضمّناً الحديث الشريف والأمثال والأقوال والشعر، فجمع أصالة التفكير العلمي إلى جمال التعبير الأدبي.

ابن جبير الأندلسي

ابن جبير من أشهر الرحّالة المسلمين الذين قاموا برحلات إلى المشرق العربي، دوَّن خلال رحلاته الكثير من المعلومات التي تعدُّ وثائق من الدرجة الأولى؛ لأنه حسن الملاحظة وصريح العبارة، فكانت رحلته مصدراً مهماً للباحثين في مجال التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرنين السادس والسابع الهجري.

اسمه: محمد بن أحمد بن جبير وكنيته أبو الحسن.

ولد ابن جبير بمدينة بلنسية بالأندلس عام 540 هـ، وهو ينحدر من أسرة عربية عريقة سكنت الأندلس عام 123هـ، قادمة من المشرق مع القائد المشهور بَلْج بن بشر بن عياض.

ولاحظ ابن جبير لدى زيارته مكة المكرمة سنة 579 هجرية، أنه بمجرد بدء شهر رمضان يتمُّ تجديد الحصر الموجودة بالمسجد الحرام، والإكثار من إشعال الشموع والقناديل حتى تلألأ الحرم المكي نوراً وسطع ضياءً.

ولم يفته ذكر مسألة السحور في ليالي رمضان، فذكر أنَّ أحد المؤذنين كان يتولى تقديم طعام السحور في الصومعة الموجودة في الركن الشرقي من المسجد الحرام، بسبب قربها من دار أمير مكة، فيقوم المؤذن وقت السحور داعياً ومذكراً ومحرضاً على السحور، ونصبت في أعلى الصومعة خشبة طويلة في رأسها عود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان فوقهما قنديلان كبيران من الزجاج يضيئان طوال فترة السحور، فإذا اقتربت نهاية وقته قام المؤذن بإنزال القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ في الأذان، ونتيجة لاتساع مساحة مكة المكرمة وبُعد الكثير من منازلها عن المكان الموجود به

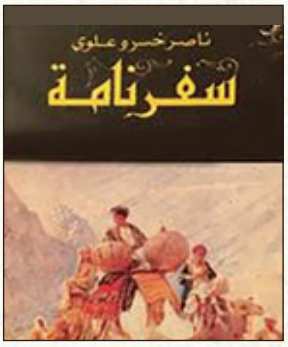

قنديلا التسحير، يذكر ابن جبير ارتفاع منازل مكة، وهو الأمر الذي جعل الذين لم يسمعوا نداء السحور يشاهدون القنديلين يضيئان أعلى الصومعة فإذا لم يبصروهما عرفوا أنَّ وقت السحور قد انتهى.

الثريد .. كان ولا يزال

شكر راشد بن هاشم سعادة جمال بن حويرب على ما أوضحه عن طقوس شهر رمضان، وأخباره لدى الرحّالة العرب والمسلمين في تلك الأيام، وقال: إنَّ «الثريد»، الذي قال عنه الرسول محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، بأنه «سيّد الطعام»، وكان جزءاً أساسياً من المائدة الرمضانية في كلِّ الأزمان، لكنه غاب اليوم عن كثير من الموائد في الدول العربية، لايزال طعام «الثريد»، موجوداً على المائدة الخليجية، بصورة عامة، والإماراتية خاصة، في كلِّ الأوقات، سواء في رمضان أو في غيره، لكنه يؤكّد حضوره بقوة في الشهر الفضيل.

وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدلُّ على أنَّ شعب الخليج، لا يزال متمسكاً، بكثير من عاداته الأصيلة.

وأضاف بن هاشم: عادات الأكل الجماعي في المساجد، لا تزال موجودة في بعض مناطق رأس الخيمة، وكذلك تبادل الزيارات الأسرية، مستمرة في المناطق النائية.

وسأل أحد الحضور سعادة جمال بن حويرب: أكان استقبال السلاطين لابن بطوطة، انطلاقاً من سمعته، أم من أهميته؟

فأجابه المحاضر: ابن بطوطة كان ينزل عند القضاة، وإذا ما سمع به السلاطين طلبوه واستضافوه، ولعلَّ قصته مع سلطان مالي خير مثال على ذلك.

الآن في الأسواق

الجزء الثاني (7-12)

من مجلد

مدارات ونقوش

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

100 درهم

فالح حنظل: علينا ألا نخاف من التاريخ فهو علم وأدب وفن

مؤرخو الإمارات الأوائل أسهموا في حفظ تاريخ المنطقة

أكّد المؤرخ والباحث في تاريخ الإمارات والخليج العربي الدكتور فالح حنظل، أنَّ مؤرخي الإمارات الأوائل لعبوا دوراً كبيراً في حفظ تاريخ المنطقة، ونقله إلى الأجيال المقبلة، ما يفند النظرية القائلة، إنَّ تاريخ منطقة الخليج لا يتوافر إلا في الأرشيف الإنجليزي، وأكّد أنَّ المخطوطات التي تركها لنا المؤرخون الأوائل من أبناء الإمارات، أسهمت في إلقاء الضوء على أهم الأحداث والوقائع التي شهدتها المنطقة، جاء ذلك خلال محاضرة تحت عنوان «مؤرخو الإمارات الأوائل وآثارهم»، ألقت الضوء على حقبة مهمة من تاريخ الإمارات، نظمها مركز جمال بن حويرب للدراسات، حيث تتواصل المحاضرات التي تجد صداها لدى جمهور متذوق للتاريخ والمعلومات والأفكار الخلاقة التي قدّمها مختصون في حقول الفكر والثقافة والتاريخ والعلوم وعموم المعرفة. والتي حرص على حضورها نخبة من المثقفين والأدباء والمهتمين والإعلاميين والشخصيات العامة.

قدَّم المحاضر الباحث والأديب الأستاذ بلال البدور، رئيس مجلس إدارة ندوة الثقافة والعلوم في دبي، قائلاً: «لا أشكُّ أنَّ بعضاً من الناس يقول: إنه لا يوجد من أبناء الإمارات مَن يقوم بالتدوين. وهذا صحيح، لأنَّ أهلنا وأجدادنا لم يكونوا على علم ودراية بهذا النوع من العلوم».

وأضاف: «يطيب لي أن أقدِّم لكم غوّاصاً ماهراً في أعماق التاريخ، شخصية من أبناء المنطقة، كان يعمل في مجال شركات الحفر في الأعماق، فإذا به يخرج منها ليغوص في أعماق تاريخ المنطقة، ويوثّق لنا الكثير من وقائعها وأحداثها، من خلال ما وقع بين يديه من مخطوطات تركها لنا المؤرخون الأوائل من أبناء الإمارات، فمُحاضِرُنا بذل جهداً كبيراً في جمع ما كتبه أبناء الإمارات، وفاجأ الجميع بكتابه «المفصل في تاريخ الإمارات»، ثمَّ أتحفنا بـ «الأمثال الشعبية في الإمارات»، وجمع دواوين أبناء الإمارات في الشعر الشعبي. ثمَّ راح يقلِّب صفحات التاريخ التي كتبها مؤرخ الإمارات عبد الله بن صالح المطوع وأعدّها للطباعة، وتصدّى لديوان الشاعر حميد بن سلطان الشامسي، وأصدره بطبعة، حجبت لاحقاً».

وأضاف البدور: «أمّا أهم عمل للمحاضر في نظري فقد كان البحث عن مخطوطة كنّا نسأل عنها دائماً، للمؤرخ يوسف بن محمد الشريف، فقد حقَّقها الدكتور حنظل وأتحفنا بما نقلته من وقائع تاريخية، وأخيراً وليس آخراً، بحث مُحاضِرُنا في الأرشيف الوطني عن الرسائل المتبادلة، فكانت «رسائل السركال» و«رسائل المجلس»، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الأعمال التي تتناول تاريخ الإمارات».

فالح حنظل خلال الندوة

بلال البدور:
حنظل بذل جهداً كبيراً في جمع ما كتبه أبناء الإمارات

بدأ الدكتور فالح حنظل حديثه قائلاً: يشكِّل موضوع المخطوطات القديمة في الإمارات مجالاً واسعاً يجب الاهتمام به في المرحلة الحاضرة؛ لأنه أحد الطرق المؤدية لمعرفة أخبار الأولين وتاريخهم، وما ورثناه منهم وعنهم. لكن ما يحزُّ في النفس أنَّ كثيراً من أبناء الإمارات، وبسبب النقلة السريعة من القديم إلى الحديث في المجتمع، حسبوا أنَّ مخطوطات الأولين لا أهمية لها، لكن حجب فترة تاريخية من حياة الأجداد يترك أبناء الجيل الجديد في حيرة من أمرهم، ويجعلهم عرضة لتقبُّل وتصديق الروايات المشوشة، أو المبالغ فيها، بل وحتى غير الحقيقية.

وأضاف حنظل: «عندما كتبت موضوع (مخطوطات الأولين من أهل الإمارات)، وكان ذلك في العام 2007م، لم أكن حينذاك حصلت على مخطوطة (الحوليات في تاريخ الإمارات)، لمؤلفها المرحوم يوسف بن محمد الشريف، من أهالي رأس الخيمة، والمتوفى عام 1917».

مخطوطات وأعلام

تطرّق المحاضر إلى ذكر مخطوطات كتبها عدد من الأعلام أمثال المرحوم

يجب الاهتمام بالمخطوطات القديمة لأنها أحد الطرق المؤدية لمعرفة أخبار الأولين وتاريخهم

الشيخ حميد بن سلطان بن حميد الشامسي، الذي كتب مخطوطة «نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار»، وهو من إمارة أم القيوين، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في العام 1980م، عن عمر تجاوز الثمانين عاماً.

وكذلك المرحوم محمد بن علي الشرفاء الحمادي، من أهالي إمارة الشارقة، ويعدُّ من صفوة المتعلمين الأوائل من أهل الإمارات، وكتب مخطوطة «خطرات واختيارات»، ومخطوطة «نيل الرتب في جوامع الأدب».

أمّا المرحوم محمد سعيد غباش، من إمارة رأس الخيمة «1899-1968م»، فقد ترك لنا مخطوطتين؛ الأولى بعنوان «الفوائد في تاريخ الإمارات والأوابد»، كتبها في العام 1967م، أي قبل سنة من وفاته، والثانية تبحث في علوم البروج الشمسية، وما يقابلها من الشهور الرومية والقبطية والفارسية.

واختتمت الأمسية بحوار جاد بين المحاضر، وعدد من الحضور منهم الباحث راشد بن هاشم، والسيد محمد دراجي، القنصل الجزائري في دبي، والدكتورة رفيعة غباش، والباحث ثاني المهيري.

مخطوطات

تحدث د. فالح حنظل عن مخطوطة «الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي» للمرحوم الشيخ عبدالله بن صالح المطوع، من أهالي إمارة الشارقة، وولد في العام 1890، و«شرح نونية مفاخر القواسم»، وهي مخطوطة كتبها المرحوم عبدالله بن صالح المطوع، أدرج فيها قصيدة «نونية مفاخر القواسم»، لمؤلفها المرحوم إبراهيم محمد المدفع، كما تطرَّق المحاضر إلى ذكر مخطوطات كتبها عددٌ من الأعلام أمثال المرحوم الشيخ حميد بن سلطان بن حميد الشامسي، والذي كتب مخطوطة «نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار»، وهو من إمارة أم القيوين، وتوفي عام 1980، عن عمر تجاوز الثمانين عاماً، إضافة إلى مخطوطة «خطرات واختيارات»، ومخطوطة «نيل الرتب في جوامع الأدب».

جانب من الحضور خلال الندوة

شرح نونية مفاخر القواسم

هي مخطوطة كتبها المرحوم عبدالله بن صالح المطوع، أدرج فيها قصيدة «نونية مفاخر القواسم»، لمؤلفها المرحوم إبراهيم محمد المدفع، ثمَّ قام بالتعليق عليها، والشرح والبيان، لما احتوته أبياتها من معانٍ ومن تاريخ وذكريات ووقائع.

أمّا ناظمها، فهو إبراهيم المدفع، من وجهاء الشارقة وأعلامها، توفي في العام 1985م، وقد عُرِفَ عنه ولعه بالعلم والأدب. كان رحمه الله قد أصدر ثلاث صحف، هي عمان، وصوت العصافير، والعمود. وكان يكتبها بخط يده، حيث لم تكن هناك مطابع في الشارقة، وكانت موضوعاتها سياسية، اجتماعية ونقدية، لذلك كانت السلطات البريطانية تمزقها وتمنع صاحبها من الكتابة. لكنه يعود لكتابتها في اليوم التالي ويعلقها في مكان عام.

وأضاف: هذه النزعة الأدبية هي إرث من عائلته المعروفة ببيت العلم؛ فجده المرحوم عبدالله بن حسن المدفع، أسس المكتبة التيمية في الشارقة، ومن هذه المكتبة كان للحفيد إبراهيم مجلس أدبي يؤمه الناس، ويتحدثون عن أمور الدين والدنيا.

قلم فارس سطر أمجاده على ظهر الخيول

قصائدي في حب الخيل

روائع قائد عاشق للإنجازات المتفردة

خاص مدارات ونقوش

بفخامة وأصالة وتميُّز يتلاءم مع الشخصية الاستثنائية لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، صدر الديوان الشعري الذي حمل عنوان «قصائدي في حب الخيل» لسموه، في حلة تنعكس على جميع تفاصيلها رؤيةُ صاحب السمو وفكره الرائد ورؤيته التي تخرج عن المألوف وترنو إلى التميُّز حتى في أدق التفاصيل. هذا التميُّز الذي يظهر جلياً في مسيرة بطل الإنجازات وصاحب الأرقام الأولى التي لم يرضها لنفسه فحسب، بل كانت رؤيته لشعبه الذي سعى ويسعى وسيظل يسعى للتألق والتميُّز في جميع ميادين الحياة، فضلاً عن ميادين سباقات الخيل التي اعتاد سموه أن يكون المستأثر بمنصاتها الأولى دوماً.

ولعلَّ المتبحر في كتاب سموه «قصتي» يستشفُّ مدى المشاعر الفيّاضة التي امتلأ بها سموه حباً للخيل، عشقاً لا تملؤه وتعبّر عنه وريقات قصتين احتواهما كتاب تجاربه الرائع. فجاء هذا الديوان ليجمع بين دفتيه ما حفل به مخزون الأدب الشعري لسموه من أحاسيس تجاه الجواد العربي الأصيل.

فسموه يكتب قصائده بقلم الشاعر الفارس المعتز ببطولات أجداده، القارئ المطلع على أمجاد العرب الذين سطّروا على صهوات الخيل أمجادهم وأصبحوا مضرب المثل في العزة والكرامة والانتصار، بل وأضحت كرامة الخيل مرتبطة بهم في كل العالم، ليكون «الجواد العربي» صاحب الصدارة والنسل الطيب الذي يلتمس فرسان العالم على ظهره الفخر والاعتزاز وكؤوس البطولات.

براعة استهلال

بدءاً من الغلاف يتجلّى للقارئ عناية سموه

محمد بن راشد:
علَّمتني خيلي الأولى أنَّ الإنجاز لا يأتي على طبق من ذهب...

بالتفاصيل التي توحي جلياً بالخروج عن المألوف، حتى في التصميم، من خلال الربط الذي انتقاه سموه لصفحات الديوان، بخيوط توحي بالمضمون، تلك الخيوط المجدولة التي نتصوَّر من شكلها لجام الفرس، وتذكِّرنا ببراعة الاستهلال التي عكف عليها المؤلفون الأوائل في مقدماتهم لكتبهم، بيد أنَّ براعة سموه الاستهلالية كانت لا بدَّ أن تتشرّب من دأب سموه على التميُّز حتى في أدق التفاصيل. وهذا الإتقان والفرادة في الخروج عمّا ألفته دواوين الشعر يتجلّى في كامل صفحات الكتاب والصور التي حفل بها.

يعود بنا صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في مقدمة ديوانه إلى عبارته الرائعة التي تزيّنت بها مطالعتنا لكتاب سموه «قصتي» في أحد أعدادنا السابقة، وهي قول سموه: «علّمتني خيلي الأولى أنَّ الإنجاز لا يأتي على طبق من ذهب... تعلّمت من خيلي أنه عندما تحب شيئاً واصل فيه حتى النهاية.. عندما تريد إنجازاً أعطه كلَّك، لا تعطه بعضك، إلا إذا كنت تريد نصف إنجاز أو نصف انتصار».

عالمية دبي

ومن بديع ما نلحظه في الديوان افتتاحه واختتامه بكأس دبي العالمي، وفي هذا إشارة رائعة إلى النظرة العالمية التي يتطلع من خلالها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد إلى مركزية «دانة الدنيا» ووصول إنجازاتها إلى العالمية، وهذا- لعمري- اختيار موفّق وذكي، نستشفُّ من خلاله مدى العناية والإتقان اللذين أسبغهما سموه على اختياراته حتى لجماليات الشكل وترتيب القصائد.

وقد جمع لآلئ هاتين القصيدتين خيط الترحيب بالضيوف الكرام على أرض المحبة والسلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، وإبراز قيمة كأس دبي العالمي بين الكؤوس العالمية، وأنه تاجها والمتربع على عرش السباقات الدولية التي ترنو إليها أنظار الفرسان، وتتطلع إلى المشاركة فيها أعرق إسطبلات العالم. كما لا يخفي سموه فيهما أوجه التشابه بين دبي وكأسها العالمي، حيث تشبَّعَ من مكانتها وأصالتها كل تفرّد وتميّز.

فارس أصيل

كم يفخر الأب عندما يخطو ولده خطاه وينحو نحوه في الدأب نحو العلا والرقي نحو المعالي، وهذا الشعور لا يخفيه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد تجاه نجله وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمدان بن محمد، إذ يوجه إليه رسائل أدبية راقية في صور شعرية، ويخصِّص له طائفة من خطابه الشعري الراقي؛ فهو الفارس نجل الفارس، الذي أخذ من والده طيب الشمائل وجميل الأوصاف، فكان على درب والده في النجاح والتفوق وحب الخيل. ففي قصيدة «يا سهمي الرابح»، يقول سموه:

إنته على ذوقي رسمتك معاني
وعوّدتني (حمدان) تحقيق الامال

تعلَّمت من خيلي أنه عندما تحبُّ شيئاً واصِل فيه حتى النهاية..
عندما تريد إنجازاً أعطِه كلَّك، لا تعطِه بعضك

إنتــه عليــك إذا أراهــن رهــانــي
يا سهمي الرابح على كل الاحوال
مبروك يا (حمدان) أغلى التهاني
والخيل بك تفرَحْ وتفخَرْ وتختال

أما قصيدة اليمامة، التي أبدعها سموه بمناسبة فوز سمو الشيخ حمدان بن محمد ببطولة العالم للقدرة، واعتزال اليمامة، فيستقصي فيها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد ما انعكس من الصفات الطيبة والفضائل السامية منه على نجله سمو الشيخ حمدان.

عادتـك مثلــي إذا حــان الرهــاني
كل من راهن عليك إتجملهْ
وعادتك مثلــي إذا احمر السـنانـي
كنت إنته الحل له والمشكله
وعادتك مثلي إذا ما والوقت شان
تكتم أنفاس الخطوب المجبلهْ

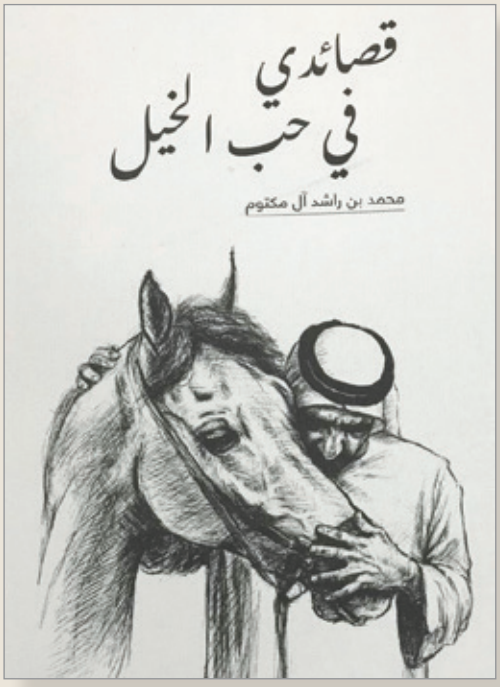

شمائل الفرسان

لقد جمعت قصائد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم معاني الفخر والاعتزاز العربي بصهوات العاديات، وصولاتها وجولاتها في ميادين النصر، دون الانفكاك عن أخلاق الفرسان التي ملكوا بها قلوب الناس وأصبحوا محطَّ أنظار المعجبين بهم، فليست الفروسية في نظر سموه وفكره مجرد قوة شكيمة ونصراً على المنافسين، بقدر ما يكتنف صاحبها من معاني الشهامة والكرامة والشمائل السامية التي ترقى به بين الناس، حتى يكون معروفاً بخلقه وسمته قبل أن يكون معروفاً بنصره واقتحامه بجواده إلى خط النهاية في السباقات قبل الآخرين. وهذا، في رؤية سموه، هو الفارس الحقيقي الذي يستحق أن يأخذ مكانه بين الفرسان الشجعان، وليست الفروسية مجرد إتقان لامتطاء صهوة الخيل، ولا حتى مجرد الانتصار غفلاً عن الشمائل الراقية التي يتحلّى بها الفارس.

ففي قصيدته «فراسة وفروسية» يجوب سموه في رحلة وصفية في عالم الخيل، معبراً عن مدى تعلقه بهذا المخلوق الراقي، الذي تعجز عبارات الخطباء عن وصف أصالته ومنزلته على مدى العصور، بأبيات لا يغيب عن قوافيها التشبيهات البيانية الساحرة التي حفلت بها أشعار سموه، ليشكّل منها قلادة مرصَّعة بلآلئ العبارات، بأسلوب شعري رائع وأنيق. غير أنَّ هذه القصيدة تميَّزت بالروح الفلسفية التي يسيح من خلالها شاعرنا الكبير في عالم الخيل، ولكن بنَفَس الفلاسفة، وليس أدلَّ على ذلك من تعبير سموه عن عجز الخطباء عن إيفاء الجواد العربي حقه من الوصف، بإتيانه بالخطيب الذي عرف عنه خطبه الفكرية والتأملية، وهو قس بن ساعدة الإيادي.

إسجعي يا القصايدْ بالجديدْ الغريبْ
مـنْ شريفْ المعاني واصلهْ للكمالْ
مـنْ عجيبٍ مصفَّىَ ما لمثلهْ ضريبْ
فـوقْ حدِّ الظنونْ وفـوقْ حَدْ الخيالْ

مشاعر فارس

وفي قصيدة سموه «خيل الليالي»، يعزف سموه على أوتار الفكر العميق، مستنهضاً الأفكار ومُلجئاً القارئ إلى تأمل السطور وما وراءها، لتتكلم المشاعر والأحاسيس

أبيات لا تغيب عن قوافيها التشبيهات البيانية الساحرة مرصَّعة بلآلئ العبارات، بأسلوب شعري رائع وأنيق

وتأخذ مكانها في نفس المتلقي، ويكون لخطاب الروح كلمته الأولى، وذلك بما اكتنزته القصيدة من سحر البيان ورقي المعاني. بحيث يختصر سموه فيها سمات الحق الذي لا يكدره باطل، وشمائل أهله الذين يستمسكون به رغم كل الظروف الصعبة التي تواجههم، فالحقُّ أحقُّ أن يتَّبع، وهو السبيل الذي لا يحيد عنه أهل المروءة والشهامة مهما كان وفي أيِّ زمان.

متوقِّفهْ خيلْ الليالي علىَ البابْ
أسمَحْ لها وإلَّا أسوقْ إعتذاري
والوقتْ متلوِّنْ مثِلْ بعضْ الأصحابْ
لي ظَنْ نفسهْ كاسيْ وهوهْ عاري

تطلعات قائد

أمّا قصيدة «حلبة سباق»، فإنها تأخذنا إلى منحى آخر من أساليب سموه الرائعة في اختياراته الأدبية، إذ يصف فيها تعلُّق سموه بحلبات السباق ومنصات التتويج، وتتلاحم فيها مشاعر التطلُّع إلى المراتب الأولى مع تعريض سياسي لا يخفى، يبرز جلياً اهتمام سموه بأحوال الأمة العربية، بحيث لا يفتأ متطلعاً إلى هموم الأشقاء، حتى مع تطلُّعاته إلى المزيد من الإنجازات والريادة، وهذا دأب القائد المسكون بهموم أمته والعالم أجمع.

تشتعِلْ في خافقي نارْ إشتياقْ
مِنْ لظاها دقِّتهْ صعبهْ الخفوقْ
ما يطفِّيها ولْو طالْ العناقْ
في ضميري مِنْ لهايبها حروقْ

رفيق الدرب

ومن خلال تلك الروائع الشعرية يتعرَّف القارئ إلى مشاعر الأخوة التي فاض بها قلب فارس العرب تجاه أخيه الشيخ مكتوم بن راشد، بعث بها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد لأخيه، تنبض بمشاعر الحب والاحترام والتبجيل التي فاضت منها تجاه الأخ والصديق ورفيق درب الانتصارات والإنجازات، في قصيدة «الفوز والناموس».

الفوز والناموس لك والسياده
وكل الفوارس أنت وحدك بَطَلها
يا بو سعيد أنت الشرف والرّياده
وِبْلادنا شوفك رَجَاها وأملها

المركز الأول

وهكذا فإنَّ القارئ يمتطي جواد الشعر من خلال ما جمعه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في ديوانه البديع، ليطلع في طيات أوراقه المصممة تصميماً خارجاً عن التقاليد الطباعية على نظرات سموه إلى رفيق النبلاء في حلهم وترحالهم، وصديق الإنسان الوفي عبر العصور والأزمان، فمن كأس دبي العالمي إلى العاصمة الإيطالية روما، حيث يسبق سموه الحدث ثمة بمشاعر الفارس الشاعر قبل حلول وقت السباق، ويستنفر البلاغة والبيان الشعري المستكن في نفس سموه في البوح عن مشاعر الحب الذي استقر في قلبه للمركز الأول والنصر. فإنْ تطلَّعَ غيره إلى المركز الثاني، فإنَّ له نفساً توّاقة دائماً إلى المراكز الأولى التي لا يرضى عنها بديلاً. ومن أجمل ما نقرؤه في ذلك قول سموه:

ومن كان يرضى ينال المركز الثاني
غيري وأما أنا أحب الأول دوم
ما أرضى بغيره وهذا طبعي وشاني
عليه ماخذ وصية جدنا مكتوم

كتاب نهل فيه الملك عبد الله بن الحسين من مخزون المعارف التي فاضت بها قرائح العرب

«الخيل الأصائل»
عصارة معرفية لكرائم أموال العرب

خاص مدارات ونقوش

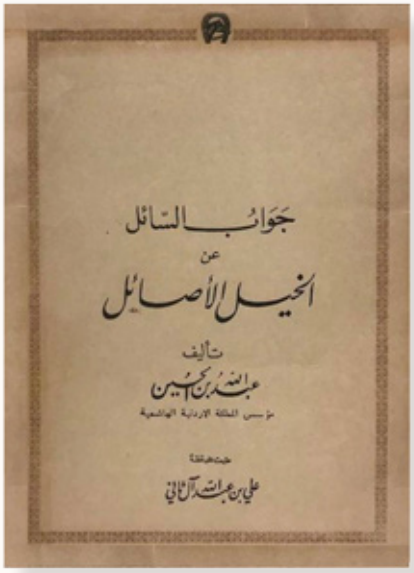

تفيض خزائن المعارف العربية بمئات المصنفات التي تعتني بتوثيق عالم الخيل، سواء منها ما وصل إلينا أو التي ضاعت في غياهب النسيان أو التلف بما مر عليها من نوائب الدهر التي ألمت بالعالم الإسلامي قديماً.

وهذا ما أوضحه الملك عبد الله بن الحسين الأول، مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، في كتابه النادر والمفيد الذي لخص فيه أساسيات عالم الخيل وما يكتنف هذا المخلوق المكرَّم من موضوعات لا يستغني عنها الباحث في هذا المجال، ويستفيد منها كل من ملك فؤادَه حبُّ الجواد العربي الأصيل الذي رافق العرب في أيامهم، وسطَّرت أمجادَه أشعارُهم وخطبُهم.

الملك عبدالله الأول

فجاء كتاب «جواب السائل عن الخيل الأصائل» عصارة مركَّزة أوجز من خلالها المغفور له الملك عبد الله بن الحسين ما يتعلق بعالم الخيل، وبيَّن أن العرب عنيت بتلك العاديات الصافنات الجياد، وأسهبت في الكتابة عنها، وإنما لم يصل إلينا من ذلك إلا «ثمد من قطر ووشل من بحر».

فضائل

يفتتح المؤلف كتابه بالحديث عن فضائل الخيل وأصنافها، فيذكر أنه يكفي الخيلَ فخراً ومكانةً ما خلَّده القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة من فضلها وكرم نسلها. كقول الله عز وجل: ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾، وقوله تعالى: ﴿والعاديات ضبحًا﴾، والقسم عند العرب يدل على تعظيم المقسَم به كما هو مقرر في فقه اللغة. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن فضل الخيل في أحاديث عدة، كقوله عليه الصلاة والسلام: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

ثم يبين المؤلف في هذا الفصل مختصراً عن أصناف الخيل، إذ هي ثلاثة: العراب والعجميات والمولَّدات. فالعراب هي أفضلها وأغلاها قيمة، وتُطلب للسبق والغزو وتتغالى ملوك العرب في أثمانها. أما العجميات، وهي البراذين، وتعرف بالأكاديش، فهي من مجلوبات بلاد الترك والروم، وتطلب لسرعة السير والصبر في الأسفار. والثالثة المولَّدات، وهي بين العراب والبراذين؛ فإن كان الأب عجمياً والأم عربية قيل له «هجين»، وإن كان الأب عربياً والأم عجمية قيل له «مقرف»، وهو متوسط في الجري والسير بين النوعين.

ألوان الخيل

وفي حديثه عن «الخيل وألوانها» ينقل الكاتب ما ورد عند ابن أبي إصبع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحب من الخيل الشُّقر، وقال: لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها إلا أشقر.

ويذكر أن أصول الألوان في الخيل أربعة، وما سواها فرع عنها: أولها الأبيض، وهذا اللون قل أن يخلص من لون يخالطه. فإن صفا بياضه قيل فيه أشهب قرطاسي، وإن كان خالط البياض شعر أسود والأغلب فيه البياض قيل أشهب كافوري، وإن كان السواد غالباً قيل أشهب حديدي. ويستفيض في ذكر السمات التي تطرأ على اللون الأبيض. ثم يأتي اللون الأسود، فإن كان الفرس شديد السواد قيل فيه: أدهم، وله تفاصيل لونية يشرَّب بها السواد. أما اللون الثالث فالأحمر، فإن كان الفرس خالص الحمرة وذيله أسود قيل فيه أورد، فإن خالط حمرته سواد فهو

> العرب عنيت بتلك العاديات الصافنات الجياد، وأسهبت في الكتابة عنها

كميت. ويختتم المؤلف ألوان الخيل باللون الأصفر، ثم يستفيض أيضاً في تفاصيل الألوان التي تطرأ على كل لون منها.

أوصاف الأصائل

وفي حديث الملك عبد الله بن الحسين عن «صفة جياد الخيل»، يمتعنا خوضه في عوالم الخيول وصفاتها، إذ ينقل ما روي عن معاوية رضي الله عنه أنه سال صعصعة بن صوحان: أي الخيل أفضل؟ قال: الطويل الثلاث، القصير الثلاث، العريض الثلاث، الصافي الثلاث. قال: فسِّر لنا. قال: أما الطويل الثلاث، فالأذن والعنق والحزام. وأما القصير الثلاث، فالصلب والعسيب والقضيب. وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك. وأما الصافي الثلاث، فالأديم والعين والحافر.

كما يستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله وأرنبته، وسعة منخريه وعري نواهقه ودقة حقوبه، وما ظهر من أعالي أذنيه، ورقة سالفته وأديمه وشعره، وأبين من ذلك لين شكير ناصيته وعرفه.

الأغر والمحجَّل

ثم يشرع الكاتب في ذكر «شيات الخيل»، وهي البياض المخالف للونها؛ فمنها «الغرة»، وهي البياض الذي يكون في وجه الفرس إذا كان قدره فوق الدرهم، فإن كان دون الدرهم قيل في الفرس: «أقرح». ثم يستفيض الكاتب في أوصاف الفرس الأغر، وما يخالط غرته من ألوان وصفات وأحجام. ويبين أنه إن كان في شفته العليا بياض فهو «أرثم»، وإن كان في السفلى فهو «ألمظ».

أما التحجيل ففي الرجلين، فإن كان البياض في مؤخر الرسغ لم يستدر عليه قيل في الفرس: «منعل». وكذلك فإن ثمة تفاصيل غاية في الروعة اللغوية والغنى التعبيري يذكره الكاتب في وصف ألوان وأصناف التحجيل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الغاية التي وصلت إليها كرامة الجواد العربي حتى اعتنت العرب بأدق التفاصيل حتى في ألوان أطرافه؛ فأبيض الأذنين هو «الأذرأ»، وأبيض الرأس: «أصقع»، وأبيض القفا: «أقنف»، وأبيض الناصية: «أسعف»، فإن ابيضَّ جنباه قيل: «أسخف»، فإن ابيضَّ عرض ذنبه من أعلاه فهو: «أشعب». فإن عدا عرقوبه البياض جملة قيل: «بهيم» و«مصمت» من أي لون كان.

خيول مستحسنة

ثم يستقصي المؤلف ما استحسنته العرب من الخيول،

الملك عبدالله الأول فارس سبر عوالم الخيل

فيروي عنهم أنهم يفضلون دقة الأذنين وطولهما وانتصابهما، ودقة أطرافهما، وقرب ما بينهما، وكل ذلك من علامات العتق. ويستحسن في الناصية اعتدال شعرها في الطول. كما أن العرب تفضِّل عِظَمَ الرأس وطوله وسعة الجبهة، وملاسة الخد ودقته، وقلة لحم الوجه وعري الناهضين، وهما عظمان في الخد، ويستحسنون سعة العين وصفاء الحدقة، كما يستحب في العين السمو والحدَّة ورقة الجفون وبعدُ النظر.

أما المنخر فيستحب فيه السَّعة؛ لأنه إن ضاق شقَّ عليه النفَس. ويستحب في الفم الهرت، وهو طول شق شقيه من الجانبين؛ لأنه أوسع لخروج نفَسه. كذلك يفضل طول لسانه ورقَّته لأنه أسهل لقضم العلف وصفاء الصهيل.

أما العنق فالمستحب فيه الطول، وقصر الظهر وعرض الصهوة، وهي مقعد الفارس من الظهر، وقلة لحم المتنين، وهما ما تحت دفتي السَّرج من الظهر. ويرى العرب من الصفات المستحسنة في الخيل استواء الكفل واستدارته وملاسته وتدويره، وطول السبيب، وهو الشعر المسترسل في ذيله، وقصر العسيب، وهو عظم الذنب وجلده.

ومن تفضيلات العرب للفرس أن يرفع ذنبه عند العدو، ويقال: إن ذلك من قوة الصُّلب. وفي هذا الفصل تفاصيل رائعة ودقيقة عن تفضيلات العرب لأفراسها وما يميز الجواد الأصيل من سمات تغري به النبلاء وأهل المعرفة بالأصالة. كما أن الكاتب لا يخفى عليه أن يبين مقابل ذلك ما تستقبحه وتذمه العرب من أوصاف الخيل بتفصيل يشفي غليل المهتمين وعشاق كرائم أموال العرب، وكذلك العيوب الحادثة التي تطرأ على الفرس السليم.

علامات نجابة

ومن مهمات ما ذكره المؤلف أن التفرس في الخيل أمر ليس بالأمر الهين، فربما ظهرت علامات النجابة في مهر ثم يتغير مع الزمن، وقد يكون العكس، وأن أفضل الفراسة في المهر الأخذ في الجري وهو جواد، ولكنه ربما يتغير أخذه في الجري إذا ركب لضعف فيه حينئذ. وقد لا يجري جذعاً ويجري ثنياً، وقد لا يجري ثنياً ويجري رباعياً، ويعرف ضعف الضعيف منها بتلوّيه تحت فارسه وعجزه عنه وفترته إذا نزل عنه.

إطلالة على البحر الأبيض المتوسط عبر مختلف العصور الإسلامية

فتح القسطنطينية

بين جهود المسلمين الأولى والحصاد العثماني

محمد زاهد غول*

أُشْتُهِرَ بين الناس أنَّ الخليفة العثماني محمد الفاتح (1481-1429 / 833هـ ـ 886هـ) هو فاتحُ القسطنطينية عام 857هـ 1453-، وهذا صحيح، ولكن ما لم يشتهر هو جهود العرب من المسلمين الأوائل لفتح القسطنطينية، وبدأت في القرن الأول الهجري، والتي حاولت التشرُّف بتأويل حديث الرسول عليه الصلاة والسلام عملياً، فالبشائر النبوية تحدَّثت عن فتح روما وفتح القسطنينية تحفيزاً للمسلمين إلى فتحها بغضِّ النظر عن قوميتهم، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «أول جيش من أمتي يغزو مدينة قيصر مغفور لهم»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ستُفْتَحُ القسطنطينية وستُفْتَحُ رومية، قلنا: يا رسول الله أيُّ المدينتين تُفتح أولاً؟ قال: مدينة قيصر»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لتفتحنَّ القسطنطينية، فلَنِعْمَ الأمير أميرها، ولَنِعْمَ الجيش ذلك الجيش». (مسند الإمام أحمد بن حنبل - رقم 18189).

ونبوءة النبي عليه الصلاة والسلام بفتح القسطنطينية حرَّكت جهود المسلمين إلى فتحها، وإلى أهميتها الاستراتيجية في حماية بلاد المسلمين من جهة الشمال الغربي، أي من جهة الإمبراطورية البيزنطية وخطرها، كما نبهت إلى خطر الإمبراطورية الفارسية الشرقية وبشارته بفتحها، كما نبَّهت إلى أهمية المخاطر القادمة من أوروبا وبشارته بفتح روما أيضاً، وفي ذلك إشارة نبوية إلى أهمية التعرُّف إلى الدول المحيطة بالمسلمين، وبالمخاطر والتهديدات القادمة من الدول الخارجية، وضرورة متابعة المسلمين للسياسة الدولية وما يجري فيها من تغيُّرات وتحرُّكات عسكرية تستهدف بلاد المسلمين.

صد العدوان

لقد بدأت جهود المسلمين بصد العدوان الخارجي ومحاولة فتح القسطنطينية منذ عهد الصحابة وتابعيهم، فكانت المحاولة الأولى في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 27هـ، بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو أمير الشام، وكانت بإمرة ابنه يزيد، وفي تلكم الغزوة استشهد الصحابي أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري عام 52هـ ـ 668م، ودُفِنَ على مشارف أسوار القسطنطينية، وسمّي المكان الذي دُفِنَ فيه على مدار عدة قرون «حي أيوب»، ولا يزال قبره يزار حتى اليوم، فهو من كبار الصحابة الذين شهدوا بيعة العقبة وشهد كلَّ المعارك في العهد النبوي.

ذكر ابن كثير في أحداث سنة 27هـ أنه: «لما افتتحت إفريقية بعث عثمان بن عفان إلى عبدالله بن نافع بن عبد قيس، وعبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قِبَل البحر، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول: إنَّ القسطنطينية إنما تفتح من قِبَل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في آخر الزمان، والسلام. قال فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة». (البداية والنهاية لابن كثير 7/152)

والسبب الذي دفع عثمان بن عفان إلى التحرُّك نحو الروم هو بدء الروم هجماتهم على المسلمين الذين حرَّروا الأراضي العربية في الشام، فقد كانت الشام تحت الاحتلال الروماني في ذلك الوقت، قال ابن جرير في أحداث سنة 24هـ: كتب معاوية بن أبي سفيان، والي الشام، إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان: «إنَّ الروم قد أجلبت (جمعت للحرب) على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فجمعت ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم»، فلم تكن غزوات المسلمين لأهداف الفتح فقط، بل في الغالب بهدف صد العدوان وحماية المسلمين من الاعتداءات الخارجية أيضاً، وممّا تذكره كتب التاريخ أنَّ الأتراك في ذلك الوقت سنة 24هـ كانوا يحاربون إلى جانب الروم ضد المسلمين. (تاريخ الطبري:5/248).

ركوب البحر

وتذكر الروايات التاريخية أنَّ معاوية بن أبي سفيان كان قد استأذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ركوب البحر وفتح جزيرة قبرص فلم يأذن له، فلما ولي عثمان بن عفان أذن له، ولم يخلُ فتح قبرص من بشارة نبوية، فقد كان في جيش معاوية في فتح قبرص عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان، وقد جاء في حديثها أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام نام في بيتها يوماً ثمَّ استيقظ يضحك، فقالت:

تُعدُّ معركة ذات الصواري البحرية أهمَّ معركة انتصر فيها المسلمون على الإمبراطورية البيزنطية

ما أضحكك يا رسول الله، فقال: «ناس من أمتي عرضوا علي وهم يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة»، فقالت يا رسول الله: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت منهم"، ثمَّ نام واستيقظ وهو يضحك، فقال مثل ذلك، فقالت: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت من الأولين".

قال ابن كثير: فكانت هذه الغزوة (فتح قبرص) وماتت بها (أم حرام بنت ملحان)، وكانت الثانية عبارة عن غزوة القسطنطينية". (البداية والنهاية 7/153).

معركة ذات الصواري

وذكر ابن كثير في أحداث سنة 32هـ: "وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق، مضيق القسطنطينية، ومعه زوجته عاتكة". (تاريخ ابن كثير 7/159).

وتواصلت محاولات فتح القسطنطينية في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان دون نجاح، فقد حاول فتحها براً وبحراً، نجحت الحملات البرية بفتح بلاد في آسيا الصغرى وافتتحت حصوناً كثيرة في الأناضول حتى وصلت إلى سواحل بحر مرمرة، ثمَّ بعث معاوية ابنه يزيد بمدد إلى سفيان بن عوف قائد حملته لفتح القسطنطينية، وجعل ابنه أميراً شرفياً عليها، وأرسل معه عدداً من الصحابة منهم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم.

حصار القسطنطينية

وقد اشتبك المسلمون مع الروم في القتال، واستُشْهِدَ كثيرٌ من الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصاري الذي دُفِنَ بالقرب من مدينة "بروسة"، لم تنجح هذه الحملة لأسباب لوجستية لم تكن الجيوش العربية المسلمة مستعدة لها، من قساوة البرد والثلوج التي لم يعتادوا عليها، وهو ما زاد من صعوبات الإمدادات وقلة الأغذية وتفشي الأمراض بين الجند، فعادت الحملة عن حصار القسطنطينية عام 50هـ.

وقام المسلمون في محاولة ثانية لفتحها بحصار القسطنطينية بين السنوات 60-54هـ/ 679-674م، وكانت هذه المحاولة برية وبحرية، وفيها استولى المسلمون على إزمير، واحتلوا ساحل ليكيا، وخرج الأسطول الإسلامي من جزيرة أرواد بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي، وأحكم المسلمون حصار القسطنطينية براً وبحراً، وكانوا يحاصرونها في الصيف ويرتدون عنها في الشتاء بسبب صعوبة الحصار الذي استمر لعدة سنوات حتى عام 60هـ/ 679م، وعندها عقد معاوية بن أبي سفيان معاهدة صلح مع إمبراطور الروم قسطنطين الرابع، مدتها ثلاثون عاماً.

وجاءت المحاولة الأموية الجديدة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك 96-86هـ، فقد أعدَّ المسلمون عدَّتهم الحربية بعد أخذ الخبرة من المعارك السابقة، واضطر البيزنطيون إلى إعادة رفع وتيرة الاستعدادات لرد المسلمين عن القسطنطينية، وقد استهل الوليد بن عبد الملك عهده بفتح حصين طوانة 88هـ ، وهي مفتاح الطريق بين الشام ومضيق البوسفور، بعد أن كبّد البيزنطيين خمسين ألف مقاتل، ثمَّ فتح عمورية وهرقلية عام 89هـ، وبدأ يعدُّ العدة لفتح القسطنطينية، حيث حاول الأمويون فتحها لمرات عديدة دون أن يتمكّنوا من تحقيق النجاح في ذلك.

لقد تابع الوليد بن عبد الملك تقوية الأسطول الإسلامي والتدريبات العسكرية البحرية لفتح القسطنطينية، ووضع خطة حصار برية وبحرية بالتنسيق بين التحرُّكات البرية والبحرية، وبدأت محاولة الفتح عام 94هـ، فجهّز أقوى حملة بحرية وبرية بقيادة أخيه مسلمة بن عبدالملك، ولكن الحملة

كان البيزنطيون يخشون سقوط القسطنطينية لأنَّ سقوطها يعني سقوط الإمبراطورية البيزنطية

لم تنجح أيضاً، لأنَّ البيزنطيين كانوا قد استعدوا لصدها بصلابة.

ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة أخذ يجهز الجيوش للسير إلى القسطنطينية، وخرجت الحملة بالفعل بقيادة مسلمة بن عبد الملك في أسطول كبير يقدَّر عدده بنحو ثمانية عشر ألف سفينة، وقيل: ألف وثمانمائة سفينة، ومعه مائة وعشرون ألف مقاتل، وتوجّه نحو المدينة العتيقة سنة 98هـ/ 716م ليبدأ الحصار لفتح القسطنطينية، ولكن هذا الحصار انتهى كسابقيه، بالرغم من استمراره عامين، وهذا يؤكد إصرار المسلمين على فتح القسطنطينية في أواخر سنوات الخلافة الراشدة وطوال الخلافة الأموية، أي أنَّ المسلمين لم يتمكّنوا من فتح القسطنطينية طوال القرن الأول الهجري، ولكنهم فتحوا بوابة الفتح لمن بعدهم بوصول الصحابة رضوان الله عليهم إلى أبوابها.

مشاريع بناء

كانت الصعوبة الكبرى التي واجهت الفاتحين العرب الأوائل للقسطنطينية أنَّ الإمبراطورية البيزنطية كانت ترى أنَّ سيادتها على القسطنطينية هو ما يمكّنها من السيطرة على شرق المتوسط ومستعمراتها القديمة في بلاد الشام وفي كل من تونس وليبيا ومصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى مروراً بالبلقان واليونان وصولاً إلى جنوبي شرقي إيطاليا، فهي وإن خسرت بعض مستعمراتها على أيدي الفاتحين المسلمين العرب الأوائل، فقد أدركت أنَّ الفتوحات الإسلامية ليست مجرد احتلال دول أو أراضٍ وإنما مشاريع بناء إمارات وولايات إسلامية، والعلاقة بين الفاتحين والمواطنين ليست علاقة استعمارية تزول مع الزمن، وكانت إمارات في سوريا وفلسطين ومصر وتونس يتم تحريرها من الاحتلال الرومي واحدة بعد الأخرى وبسرعة كبيرة لم يألفها التاريخ، وذلك بعد الانتصار الكبير على جيش الروم في معركة اليرموك شمال الأردن في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 15هـ.

وكان إصرار المسلمين على فتح القطسنطينية واضحاً للبيزنطيين، فلم تتوقّف عمليات تحرير البلاد العربية من الاحتلال الرومي على المعارك البرية فقط، فقد حاولت الجيوش الإسلامية في العهد الراشدي بناء السفن، وعينها على البحر الأبيض المتوسط وما بعده من الأراضي شرقاً وغرباً، وكان من أهمها معركة ذات الصواري التي وقعت عام 35هـ 655م، وانتصر فيها المسلمون على الإمبراطورية البيزنطية، وتمكّنت هذه المعركة من إنهاء السيطرة البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط، بالرغم من أنها أول معركة يخوضها المسلمون في البحر، وبعد الانتصار الكبير في هذه المعركة أصبحت أنظار المسلمين نحو ما بعد البحر، ونحو القسطنطينية تحديداً.

هزيمة الأسطول البيزنطي

لقد تعرَّض الأسطول البيزنطي لهزيمة منكرة في مواجهة الأسطول الإسلامي في معركة ذات الصواري عام 655م، وأصبح بعد ذلك فتح القسطنطينية على رأس أجندة الخلافة الأموية بدءاً من عهد مؤسِّسها معاوية بن أبي سفيان. وكان الجميع يعلمون أنَّ طريق إنهاء مخاطر وتهديدات الإمبراطورية البيزنطية يمرُّ عبر السيطرة على عاصمتها القسطنطينية، فقامت الأساطيل الإسلامية الراسية في كيزيكوس/ايردك بتنظيم حملات بحرية سنوية ضد المدينة من بعد عام 668 وبين عامي 674 و678، وفي الوقت نفسه استمرت الفتوحات الإسلامية نحو الشرق وآسيا الصغرى ومحاصرة المدن الكبيرة، وتحقيق فتوحات أوسع في شمال إفريقيا.

أثَّرت انتصارات معركة ذات الصواري في مركز الإمبراطورية البيزنطية، وأصبحت الإمبراطورية في حالة يأس وعاصمتها تحت التهديد، وتجدَّدت رغبة الأمويين لفتح القسطنطينية بعد اتخاذهم مدينة حلب مركزاً إدارياً لدولتهم، وقد تعرَّف المسلمون إلى الثقافة البيزنطية والهندسية المعمارية للبيزنطيين في تلك المناطق، كما استعملوا الأنظمة النقدية والدواوين البيزنطية، كما تعاملوا بالنقد والعملات اليونانية بعد رفع شعار الصليب عنها، فلما جاء عصر الخليفة عبدالملك بن مروان (26هـ - 86هـ / 705-685) قام بوضع حد لهذه المجريات، فعرَّب الإدارة وصكَّ العملة الجديدة، وأمر الحرفيين اليونانيين المحليين ببناء مبنى حول الصخرة التي صعد عليها النبي عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء والمعراج.

لقد كانت مكانة القسطنطينية لدى الإمبراطورية البيزنطية من أكبر الصعاب أمام الفتح الإسلامي في العهد الأموي والعباسي أيضاً، فقد كانت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، ومهما واجهت من هجمات فإنَّ

انتشر الإسلام بسرعة في الأناضول بعد الفتوحات

الدفاع عنها كان قوياً، فكما كانت الهجمات متوالية كذلك كانت عمليات الدفاع عنها وصد الهجمات متواصلة أيضاً.

وكان البيزنطيون يخشون سقوطها؛ لأنَّ سقوطها يعني سقوط الإمبراطورية البيزنطية، ولذلك كانوا يواصلون تحصينها ببناء الأسوار والقلاع وتجهيز الجيوش بشكل متواصل، فكان تحصينها وبناء الأسوار العصية على الاختراق هو من أكبر مهمام الإمبراطور والجند، وكان الإمبراطور يشيع بين جنده وشعبه أنَّ الربَّ يحمي هذه المدينة، وكان يحرص على تزويدهم بأقوى الأسلحة البرية والبحرية، فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تملك من الأسلحة البرية والبحرية ما لم يكن معروفاً في زمنهم، وقد ظهرت الأسلحة البيزنطية السرية التي يسميها الفرنسيون (feu grégeois) النار الإغريقية بين أعوام 680-670، وتمَّ اختراع النار الإغريقية من طرف لاجئ سوري يُدْعَى كالينيكوس، وقد كانت عبارة عن قاذفات للهب يتمُّ تثبيتها على سفن تسمّى سيفونوفوريس، وهي بمثابة سلاح للأسطول البحري.

وساد الاعتقاد الذي يقول إنَّ النار الإغريقية عبارة عن خليط النفط والبارود لفترة طويلة، والنفط هو البترول الخام الذي كان يخرج بشكل طبيعي في بعض أنحاء العالم، وقد ذكر الإمبراطور البيزنطي قسطنطينوس بورفيروغينيتوس (Konstantinos Porfirogennetos) في كتابه العائد للقرن العاشر "إدارة الإمبراطورية" (De Administrando Imperio) أنَّ النفط كان يخرج في القرن السابع في دونباس، أي أبخازيا وأوكرانيا اليوم، إضافة إلى طرجان التي تقع بين أرزروم وأرزنجان في تركيا اليوم.

لم يكن البارود ضرورياً من أجل سلاح النار الإغريقية، حيث كان يتمُّ جمع النفط وتخزينه في أماكن باردة للحيلولة دون تبخُّر مكوناته المتطايرة، ثمَّ يتمُّ تسخينه عند الحاجة إلى استخدامه، وكانوا يخبِّئون النفط قبل الهجوم في براميل برونزية مسخنة، تقوم مضخة أو سيفون مربوط بالبراميل بتوليد ضغط على النفط المسخّن، ويؤمِّن الأنبوبُ البرونزي الموصول بصمام في الطرف الآخر من البرميل تدفُّقَ السائل الساخن، ثمَّ يخرج السائل الحارق من الأنبوب عند فتح الصمام بنتيجة الضغط، ويتصف هذا السائل باللزوجة الشديدة حيث إنه يلتصق بالشيء الذي يلامسه، وقد كانت السفن تشتعل بمجرد ملامسة هذا السائل لها. وهكذا كان الصمود البيزنطي رادعاً لفتح القسطنطينية في العهد الأموي، وكيف حاول المسلمون التغلُّب على هذا الصمود في العصر العباسي؟

* **باحث في التاريخ**

ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد:

تحفة فنية فريدة من العصر المريني

إعداد: د. رامي ربيع عبد الجواد راشد*
rra00@Fayoum.edu.eg

مكانة جليلة القدر حازتها العمارة والفنون الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس عبر العصور الإسلامية المتعاقبة، لما تميزت به من خصائص فنية وسمات جمالية تبهر الناظرين وتُحيِّر عقول المتأملين، وكان من بين التحف الفريدة التي تبلغ من العُمُر ما يناهز ثمانية قرون، تلك الثريا البديعة المعلقة بالجامع الكبير في فاس الجديد.

ثريا الجامع الكبير بفاس تحفة فنية نادرة

تفيد المصادر التاريخية بأنَّ الأمير أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (668–685هـ/1269–1286م)، أمر بتأسيس مدينة ملكية جديدة بالجهة الغربية من مدينة فاس العتيقة، وعن هذا يحدثنا ابن خلدون بقوله: «ورأى أمير المسلمين أنَّ أمره قد استفحل، ومُلكه قد استوسق، واتسع نطاق دولته، وعظمت غاشيته، وكثر وافده، ورأى أن يختط بلداً يتميَّز بسكناه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه الحاملين سرير ملكه فأمر ببناء البلد الجديد لصق فاس، بساحة الوادي المخترق وسطها في أعلاه، وشرع في تأسيسها لثالث شوال من سنة أربع وسبعين هذه (674هـ)، وجمع الأيدي عليها وحشد الصنّاع والفَعَلة لبنائها، وأحضر لها الحُزّى والمُعدلين لحركات الكواكب، فاعتاموا في الطوالع النجومية ما يرضون أثره، ورصدوا أوانه، وكان فيهم الإمامان أبوالحسن بن القطان وأبوعبدالله بن الحباك المُقدَّمان في الصناعة، فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم وكما رضي، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين كما ذكرناه، واختطوا بها الدور والمنازل وأجرى فيها المياه إلى قصوره، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الأيام».(1)

المسجد وسط المدينة

وجرياً على العادة في تأسيس المدن الإسلامية، فقد كان المسجد الجامع في وسطها هو أول ما يُختط بجانب دار الإمارة، وفي هذا الصدد يخبرنا ابن أبي زرع الفاسي بقوله: «ولمّا تمَّ سور هذه المدينة السعيدة فاس الجديد بالبناء أمر «الأمير أبويوسف يعقوب بن عبدالحق» ببناء الجامع الكبير بها للخطبة، فبني على يد أبي عبدالله بن عبدالكريم الحدودي، وأبي علي بن الأزرق والي مكناس، والنفقة فيه من مال معصرة مكناس، ولم يخدم في بناء هذا الجامع الكبير من المعلمين إلا أسرى الروم الذين قدم بهم من الأندلس، ففي شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمئة تمَّ بناء الجامع المذكور وصلّى فيه، وابتدأ بعمل منبره الذي به الآن على يد المعلم الغرناطشي الرصاع».(2)

صناعة أندلسية

لا يزال هذا المسجد الجامع بتلك المدينة الملكية فاس الجديد قائماً إلى الوقت الحاضر، وممّا اختص به أنه من بناء مهندسين ومعماريين أندلسيين، كما أنَّ صانع منبره أندلسي كذلك، وهو المعلم الغرناطشي الرصاع، نسبة إلى مدينة غرناطة آخر معاقل دولة الإسلام بالأندلس، ولعلَّ هذا يعطي مزيداً من الأهمية المعمارية والفنية لهذا الجامع، والذي لا يزال يحتضن بين أروقته تحفة فنية عجيبة الصنعة، هي تلك الثريا الكبرى التي تتوسَّط بيت الصلاة فيه.

لهذه الثريا قيمة كبرى بما احتوته من نقوش كتابية وعناصر زخرفية بديعة، تعكس عديداً من الجوانب الحضارية التاريخية والفنية

مسجد الجامع الكبير في فاس

تميـــــزت ثريـــات الأنـدلـس والمغـــرب بنمط فريد يختلف عن مثيلاتها في المشـرق

مـع بدايـة العصـر المرينـي بالمغـرب، كمـا أنهـا الوحيـدة المتبقيـة مـن مساجد ذلـك العصر بحاضرتهـم الملكيـة فـاس الجديـد، ولهـذا يعطينـا ابـن أبـي زرع الفاسـي إفـادات مهمـة عنهـا حيـث يقـول: «وفـي يـوم السبت السابع عشر لشهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وستمئة علّقـت الثريـا الكبـرى بالجامـع المذكـور، وزنهـا تسـعة قناطيـر وخمسـة عشـر رطـلاً، وعـدد كؤوسـها مئـة وسـبعة وثمانـون كأسـاً، وكان الصانـع لها المعلـم الحجـازي، والإنفـاق فيهـا مـن جزيـة اليهـود لعنهـم الله».(3)

نمط فريد

الثريـا – والجمـع ثريـات – هـي إحـدى أدوات الإنـارة خـلال العصـور الإسـلامية المتلاحقـة، وقـد تميَّـزت الثريـات ببـلاد الأنـدلـس والمغـرب بنمـط فريـد يختلـف عـن مثيلاتهـا ببـلاد المشـرق، وتفيـد المصـادر التاريخيـة بأنَّ «جامـع قرطبـة الأعظـم كان يتوافـر بيـن جنباتـه علـى مائتيـن وثمانيـن ثريـا، منهـا ثـلاث مـن الفضـة، وأمـا الثريـا الكبـرى المعلقـة بالقبـة العظمـى التـي تتقـدَّم المحـراب فيبلـغ دَوْرهـا «قطرهـا» خمسـين شـبراً، وبهـا ألـف كأس وأربعـة وثمانـون كأسـاً، وكلهـا موشـاة بالذهـب».

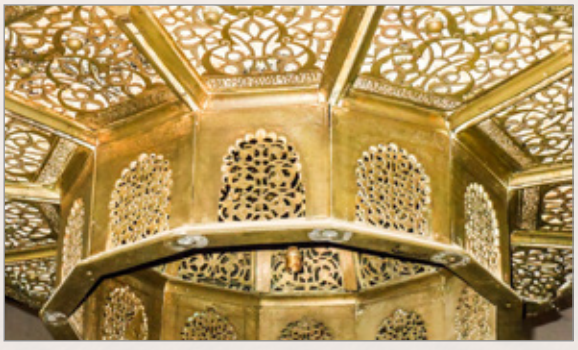

زخارف إسلامية تدل على مهارة الصانع

(4) تتكـوَّن الثريـا الكبـرى المعلقـة فـي الجامـع الكبيـر بفـاس الجديـد مـن ثلاثـة أجـزاء رئيسـة هـي (القاعـدة، البـدن، الـذراع)، لوحـة (1).

القاعـدة دائريـة تتكـوَّن مـن اثنـي عشـر ضلعـاً، لوحـة (2)، كانـت تتدلّـى منهـا أرجـل هابطـة – لا تـزال آثارهـا باديـة للعيـان - تقـوم عليهـا الثريـا عنـد إنزالهـا للإصـلاح وغيـره، ويـدور بحافـة هـذه القاعـدة مـن أسـفل فيمـا يتخلـل هـذه الأرجـل نقـش قرآنـي بالخـط اللين (الثلـث) علـى أرضيـة مـن التوريقـات النباتيـة يقـرأ: «أعـوذ بالله العلـي العظيـم مـن النـار ومـن كيـد الشـيطان الرجيـم بسـم الله الرحمـن الرحيـم وصلـى الله علـى سـيدنا محمـد وآلـه

﴿مَـا كَانَ لِلْمُشْـرِكِينَ أَن يَعْمُـرُواْ مَسَـاجِدَ اللـه شَـاهِدِينَ عَلَـى أَنفُسِـهِمْ بِالْكُفْـرِ أُوْلَئِـكَ حَبِطَـتْ أَعْمَالُهُـمْ وَفِـي النَّـارِ هُـمْ خَالِـدُونَ إِنَّمَـا يَعْمُـرُ مَسَـاجِدَ اللّـهِ مَـنْ آمَـنَ بِاللّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَأَقَـامَ الصَّـلاَةَ وَآتَـى الزَّكَاةَ وَلَـمْ يَخْـشَ إِلاَّ اللّـهَ فَعَسَـى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُـواْ مِـنَ الْمُهْتَدِيـنَ﴾».

سـورة التوبـة، الآيتـان (18-17).

تذهيب وزخرفة

يبلـغ ارتفـاع قاعـدة هـذه الثريـا 0,25م، وتتكـوَّن مـن اثنتـي عشـرة حشـوة زخرفيـة، يتوسَّـط كلاًّ منهـا عقـد مفصـص يرتكـز فـي الجانبيـن علـى دعامتيـن، وتمـلأ كل المسـاحة تشـبيكة مخرمـة مـن التفريعـات والتوريقـات والأوراق الكأسـية، كمـا يؤطـر جانبـي كل حشـوة مـن هـذه الحشـوات الاثنتـي عشـرة أشـرطة كتابيـة بالخـط اللين نقـرأ فيهـا بعـض العبـارات الدعائيـة الرائقـة مثـل: (الملـك للـه)، (العـزة للـه)، (العـزة للـه وحـده)، (الحمـد للـه وحـده)، (الشـكر للـه وحـده)، (اليمـن والإقبـال)، (الغبطـة المتصلـة)، وهـذه العبـارات ممّـا انتشـر تداولـه علـى العمـارة وفنـون بـلاد الأنـدلـس والمغـرب خـلال العصـور الإسـلامية المتعاقبـة

يلفت الانتباه في النقش التسجيلي على الثريا أنه خصص للدعاء للصانع في دلالة على مكانته

منذ عهد الخلافة بقرطبة (300 – 422هـ / 912 – 1030م)، إلا أنها كانت أكثر شيوعاً من ذي قبل في فنون وعمائر العصر المريني الذي ترجع إليه الثريا التي معنا.

نقش تسجيلي

يعلو هذه الحشوات – المكونة لقاعدة الثريا – من الخارج شريط كتابي بالخط اللين، يمثّل النقش التسجيلي لتلك الثريا، حيث يقرأ: «هذا ممّا أمر بعمله الأمير الأسعد الهمام الأوحد الماهر المصون المجاهد في سبيل الله تعلى [كذا] أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق خلد الله أمرهم ومكّن نصرهم وأدام سعودهم ورفع فوق السما [كذا] (...) وصعودهم لا رب غيره ولا معبود سواه وكان الفراغ من عملها في عام ثمانية وسبعين وستمئة وكل ذلك [كذا] ابتغا [كذا]، مرضاة الله نفع الله بها الآمر بها وصانعها وجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾».

نقش على قاعدة الثريا

يلفت الانتباه في هذا النقش التسجيلي أنه وقع التخصيص بالدعاء لصانع تلك الثريا، وهو مؤشر دال على مكانة هذا الصانع، الذي أفاد ابن أبي زرع الفاسي – كما سبق ذكره – أنه هو المعلم الحجازي، ولقب (المعلم) فيه دلالة أخرى على مكانته، والذي لم يكن بالإمكان إطلاقه على أحد من الحرفيين إلا إذا كان من أهل الإتقان والاحتراف في مجال صنعته، وهذا يدل على أنَّ ذلك المعلم الحجازي لم تكن هذه الثريا من باكورات أعماله، بل ولا بدَّ أنه أخرج من تحت يده كثيراً غيرها، ومن ناحية أخرى، يدل هذا اللقب أنه تلقّى فنون وأسرار تلك الصناعة الدقيقة ذات الشأن عمّن سبقوه من (المعلمين) المحترفين، حتى أصبح هو الآخر أحد هؤلاء المعلمين الكبار المنوطة بهم مثل هذه الأعمال السلطانية، وكل هذا يذهب بنا في النهاية إلى القول إنَّ الأسلوب الفني الذي يتجلّى في هذه الثريا شكلاً ومضموناً إنما هو أسلوب فني أصيل متوارث عبر تلك الأجيال من المعلمين، يُرجح أنه يعود إلى ثريات الجامع الأعظم بقرطبة – سبقت الإشارة إليها – حسب ما سيأتي تأكيده لاحقاً.

يرتكز على هذه القاعدة بدن الثريا، والذي يزين جوفه المخروطي الشكل قبة زخرفية بديعة من نمط القباب المُعرّقة (الوترية / ذات الضلوع المتقاطعة)، لوحة (3)، تُذكّر من أول وهلة بأصلها القرطبي، إذ كان أول نموذج لها هو تلك القباب الثلاث التي تعلو محراب ومقصورة المسجد الجامع بقرطبة، خلال التوسعة الكبرى التي تمت به على عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر فيما بين عامي (351 – 355هـ / 962 – 966م)، وهذه القبة التي تزين جوف الثريا مكونة من أربعة وعشرين ضلعاً، تتخللها توليفات نباتية منفذة بأسلوب التخريم، قوامها أوراق كأسية وتوريقات نباتية في أوضاع تناظرية بالتقابل والتدابر حول غصن محوري، وهذا الأسلوب الفني وتلك العناصر الزخرفية هي الأخرى، وثيقة الصلة بنظائرها في الفن الخلافي بقرطبة، وبمدينة الزهراء على وجه التحديد، ما يؤيد صلة هذه الثريا من الناحية الفنية بثريات مسجد قرطبة الجامع.

وصف الثريا

بدن الثريا من الخارج مخروطي الشكل، لوحة (1)، يبدأ من أسفل ممّا يلي القاعدة بقرص دائري، محمول على اثني عشر مسنداً ذي أطراف نصلية، وهذا القرص مقسَّم عن طريق المساند الحاملة له إلى اثنتى عشرة حشوة كلها متماثلة من الناحية الزخرفية، قوامها توريقات وتفريعات نباتية في أوضاع تناظرية بالتقابل والتدابر، لوحة (4)، كما يؤطر حافة القرص من الخارج شريط كتابي قرآني، بالخط اللين على أرضية من التوريقات النباتية يقرأ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ

مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. سورة النور، الآيات (35 – 37).

لذلك النقش القرآني على الثريا دلالة مهمة وارتباط وثيق، فكما أنَّ نور الوحي والقرآن في قلب العبد المؤمن يضيء له طريقه السائر فيه إلى الله عز وجل، وكأنه سراج مزهر شديد الصفاء، فكذلك هي الثريا، والتي كفاها شرفاً وفخراً أن تضيء بيوت الله تعالى في أرضه، خدمة لعباده العابدين، القانتين، الذاكرين له فيها آناء الليل وأطراف النهار، رجال لا تشغلهم الدنيا وما فيها من متاع زائل عن القيام بين يديه سبحانه وتعالى، خوفاً ووجلاً من يوم لقائه والعرض عليه جل جلاله.

تعلو قرص الثريا ثمانية أطواق دائرية يقل قطرها تدريجياً كلما ارتفعنا لأعلى، لوحة (1)، وكل طوق منها يؤطره عدد من المساند الحاملة لكؤوس الاستصباح يجاور بعضها بعضاً، لوحة (5)، وبتلك الكؤوس كان يُصب زيت الاستصباح مع الفتيل ليتم إشعاله، فتصير الثريا وكأنها قطعة مذهبة تتلألأ وسط أروقة هذا البيت الفسيح، الذي تسوده أجواء من السكون والطمأنينة بما انسدل عليه من ستائر الخفوت والظلام، ولأهمية الثريا فقد كان ملحقاً بالجامع على يمين المواجه للمحراب – مما يلي بيت المنبر – بيت مخصص لحفظ زيت الوقد الخاص بها مع غيره من متعلقات الجامع، مثلما كان هو الحال كذلك بمسجد قرطبة الجامع(5)، وأخيراً، يتصل بهذا البدن من أعلاه الذراع الحامل للثريا، والمعلق بدوره في سلسلة معدنية مدلاة من السقف، لوحة (1).

فلسفة الصناعة

هكذا كانت صناعة وزخرفة تلك الثريات المعدنية ببلاد المغرب

علاقة حميمة بين الفنين المغربي والأندلسي

كؤوس متجاورة تميز شكل الإضاءة

وثيقة الصلة بثريات جامع قرطبة الأعظم، لما كان بين الفنين الأندلسي والمغربي من علاقة حميمة عبر العصور الإسلامية المتعاقبة، يشهد لها بعض النماذج الأخرى من تلك الثريات بمساجد ومدارس بلاد المغرب، كالثريا الكبرى بجامع القرويين من العصر الموحدي (600هـ / 1203م)، وهي الأكثر شهرة وأهمية من الناحية الفنية بلا منازع، وكذلك الثريا الكبرى بجامع تازة من العصر المريني (694هـ / 1294م)، والتي فاقت ثريا جامع القرويين سعة وحجماً، غير أنها لم تفقها جمالاً وإبداعاً، وأخيراً، فهناك الثريا المتواضعة الملحقة بمسجد مدرسة العطارين من العصر المريني كذلك (725هـ / 1324م)، وهذه الأقل أهمية من الناحية الفنية من بين الثريات الثلاث، والتي سوف نفرد لكل منها – لاحقاً – دراسة مستقلة بحول الله الملك الوهاب.

الهوامش

(1) – ابن خلدون (عبدالرحمن): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ / 1992م، جـ7، صـ 230 – 231.

(2) – الفاسي (علي ابن أبي زرع): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. دار المنصور، الرباط، 1972م، صـ 162.

(3) – ابن أبي زرع: الذخيرة السنية. صـ 162.

(4) – التلمساني (أحمد بن محمد المقري): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ / 1968م، جـ 1، صـ 552.

(5) – المقري: نفح الطيب. جـ 1، صـ 559.

*مدرس عمارة وفنون المغرب والأندلس
كلية الآثار – جامعة الفيوم

العايذية.. بكت زوجها ووثقت لهجتها

إحدى أقدم شاعرات نجد

سعد بن عبد الله الحافي*

الشعر العامي خزانة الثقافة الأهم التي حفظت تاريخ وعادات وثقافة ولهجات أهل القرون السابقة في الجزيرة العربية، وما كنّا لنعرف الكثير عنهم لو لم نجد هذه النصوص الشعرية، خاصة في غياب التدوين والدراسات المتخصصة عن تلك الفترة الزمنية الممتدة لما يقارب ألف سنة تعدُّ غامضة في تاريخ الجزيرة العربية وخاصة حياة المجتمع النجدي ولم يصلنا منها سوى أقل القليل، وبين يدينا نصٌّ شعريٌّ يعود إلى ما قبل أربعمائة عام على الأغلب، يتميّز بكم وفيرٍ من مفردات لهجوية حفظها لنا النص، وهو نصٌّ بكائيٌّ مشبّعٌ بالألم والحزن لامرأة ترثي زوجها (حسين) الذي تركها وحيدة، بعد أن كانت تعيش في كنفه عزيزة غنية، وهو شيخ في قبيلته وفارس كريم معطاء وكيف تبدّلت حالتها بعد وفاته.

النص:

يقول الذي ما تاه في بدعه البنا
فهيمٍ لصعبات الأمور فطين
مولفه بالصدر ما كنت كاميه
وكل خفيٍ للعباد يبين
يا مل عينٍ من ليالٍ مساقمه
وجسمٍ من اسباب الزمان اذهين
يبات خلي البال بالنوم راغد
وعيني عن لذ المنام اعدين
فقلت لها يا العين لا تشمتين بنا
يفرح علينا مبغضٍ ولعين
وقالت لي النفس مانيب صابره
فقلت اصبري فن الصبر حسين
اراعي نجوم الليل عند افتراقه
وكثير نومي بالفراش ونين
على صاحبٍ هو عندي أغلا من الملا
عشيري بأيام الشباب حسين
غدا به ملك الموت واغتاله البلا
وله الله عن صعب الأمور عوين
لا واسفا بالشيخ قيدوم عيله
إذا الخيل بالجوخ الجديد أكسين
فياما صخا من صخية جاهليه
من مهرةٍ قبا وكل حسين
له الحل مني كل مانا ذكرته
ولا له عندي بالعباد وزين
ياليته مربوطٍ ورا شط فارس
وكلٍ ما تملك ايديه يعين
ولا فيم الشام عني مغرب
كان الرجا به متة وسنين
فيا راعي القبر الذي حيل دونك
عليك اعيون الرامقين اعمين
يا قبر ياما فيك من البر منسف
ومن مردمٍ للهاشلين سمين
تباشر به الهشال في ليلة الدجى
الى جت مواعين الزهاب اخلين
فله قروةٍ تندا على اللين والقسا
ودايات بيته بالمعاش اشقين
ذا صادرٍ منها وهذاك وارد
وجهه على كثر الورود يزين
تعيش اليتاما في ذرا ظل بيته

لو ركبت عسر السنين بشين
وبابه على طول الليالي مشرع
عليه السواف الذاريات اسنين
فلا وا حسينٍ زبن عقب السريه
لعاد هو من طردهن اغدين
وثارا المثارا والعوادي تناطحوا
فهو لتال الجاذيات ظمين
الا وا وجدي على حسين وجد من
غاله البلا وخلف شيابه يوم صار رهين(2)
او وجد اللي دهاها زمانها
وزاد ابكاها من فراق جنين
أو وجد مدٍ قليلٍ قماشه
وحيدٍ والله بالعباد عوين
ينام من الوجلا مخيفٍ وناعس
من خوف مسلوب الحدود سنين
او وجد راعي ابلين وبيتين حاشهن
جرسانهن عند النشير دنين
اكبار الجواشن يزرع القلب شوفه
قدحانهن(3) عند النشير ملين
جاه العوادي في شريقٍ نهابه
فلما ان راح المال قيل اغدين
فلا هذا ولا ذاك بكبر ليعتي
من اللي غدا عنه الشجاع حسين
والله لولا خوفتي تشمت العدى
اخاف من حالٍ علي تبين
لا اجاوب الورقا بعالي انجوعه
ولو عيوني من بكاه اعمين

الشاعرة:

جاء في تقديم النص «مقالت العايدية بزوجها حسين يوم يتوفا»، فلم يذكر من اسمها سوى أنها (العايدية) وأنَّ اسم زوجها (حسين) وربما كانت (العايذية)، ويظهر على

مطلع القصيدة أسلوب شعراء القرن العاشر وما قبله ولو رجعنا إلى قبيلة (عايد) من جذام لوجدناها في القرن السابع الهجري في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة العربية ومكلفة من مماليك مصر بحماية قوافل الحجيج إلى أطراف المدينة وهي قبيلة بدوية متنقلة وشيخها مهمل (محمد) ابن مهدي العايدي صاحب النص الشعري الشهير والذي منه:

يقول ابن مهدي وابن مهدي مهمل
وبه زفرة جمل الملا ما درابها
إن افضيتها بانت لرماقة العدا
وإن اخفيتها ضاق الحشا بالتهابها
الى انحلت نفس لنفس موده
فلم تجزها فالرأي عنها اجتنابها
أنوف الى نالت من أمر موده
وأنوف الى الخل المجازي نيابها
لنا ديرة تغذا على الما منازل
عندي زلال الما قراح شرابها
سقاها الحيا في ليلة عقربية
سرت تنفض الما في مثاني سحابها
الى أرعدت ذي وأبرقت ذي وساق ذي
سنا ذي لهذي غارق به ربابها

دلالة النص و«مسلك الأبصار» تؤكد أنها من قبيلة عائذ

يجر الغثا فياض ماها وربما
غدا يصبح الما ناقع في هضابها
فهي دارنا ما هيب دار لغيرنا
والاجناب لو حنا بعيد تهابها
مخافة من دهيا دهوم نجرها
نفاجي بها غرات من لا درى بها
عليها ذوي المهدي مناعير لابه
الى طعنوا ما ثمنوا في عقابها

بينما نجد أنَّ قبيلة (عائذ) في القرن الثامن الهجري يذكرها (ابن فضل الله العمري) في كتابه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) أنها قبيلة مستقرة في وادي القرى في نجد وأنَّ بلادهم بلاد خير وزرع.

وبالرجوع إلى دلالات النص نجد ما يلي:

1 - نجد قول الشاعرة "ولا فيم الشام عني مغرب" فيه دلالة على بعد أرض الشام عن موطنها، وبالتالي ينفي أن تكون من قبيلة (بني عايد) الذين هم على أطراف الشام ويثبت أنها من قبيلة (عائذ) الذين هم في نجد.

2 - نجد قول الشاعرة "وبابه على طول الليالي مشرع" يدل على أنه مستقر في قرية وهذا ينفي قبيلة (عايد) البدوية المتنقلة ويثبت قبيلة (عائذ) الذين لهم بلاد عامرة وأهل زرع في نجد وفق ما ذكره ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار.

إذاً، شاعرتنا هي الشاعرة العايذية زوجة الشيخ حسين.

دراسة النص:

بتفحص صورة المخطوط وجدت أنَّ هناك أبياتاً طمست فهي غير واضحة، وهناك أبيات لم أوردها لسوء الخط، ويتميز هذا النص بأنه يوثّق لهجة الشاعرة، ويعكس حياة المجتمع النجدي في ذلك الزمن والقيم التي يتمسَّك بها؛ ومن ذلك وفاء الزوجة لزوجها، وقد بدأت الشاعرة قصيدتها

مخطوط لقصيدة العايذية

بامتداح قدرتها الشعرية في نظم قصيدة محكمة وتعاملها بذكاء مع الأمور المعقدة، فقد حاولت بداية كبت مشاعرها ولكنها لم تفلح، فلا بدَّ للخفي أن يظهر للناس، حيث أسقم السهر عينيها وبدا تأثيره واضحاً في جسدها، فحينما ينام خلي البال فهناك من يحرمها النوم، وقد خاطبت عينيها بألا تجعلها عرضة لشماتة حاسد أو عدو من كثرة البكاء، ولم تستطع أن تلزم نفسها بالصبر ولذلك هي تسامر النجوم إلى أن يذهبن ولا تتوقف عن الأنين في فراشها، وكل ذلك حزناً على أغلى الناس لديها وهو العشير الوفي من أيام الشباب وزوجها الحبيب (حسين) الذي توفي وفي قلبها حسرة عليه، فقد كان شيخ القبيلة والمقدم في معاركها، وهو السخي الذي يكثر البذل والعطاء من الخيل الأصيلة والأشياء النفيسة، ثمَّ إنها (تُحلله) أي تسامحه عندما تتذكره وتؤكد أن لا أحد من الناس يعادل منزلته في قلبها، وتتمنّى لو أنه كان أسيراً في بلاد الفرس فيقومون بافتدائه بكل ما يملكون، أو أنه قد ذهب مغترباً إلى الشام لتنتظر

عودته وإن مكث سنوات طويلة، ثمَّ تخاطبه بصاحب القبر الذي لا تستطيع أن تصل إليه، وأنَّ الدمع قد أعماها من كثرة البكاء، وتخاطب القبر بأنه يضمُّ من كان يقدِّم موائد الطعام للضيوف القادمين من الصحراء ويذبح لهم الإبل السمان، بل إنَّ هؤلاء الضيوف يبشر كلٌّ منهم الآخر أنه ينزل ضيفاً على حسين ويقصدونه في الليالي المظلمة عندما يشحُّ فيها الزاد، وأنَّ له (قروة) وهي الإناء الخشبي الكبير الذي يقدم فيه الطعام للضيوف، وهي دائماً ما تقطر بالدهون في أيام العسر أو اليسر دلالة على استمراره في استقبال الضيوف وإعداد الولائم التي أرهقت خادمات منزله بإعدادها وأنَّ أفواج الناس تتزاحم بين قادم ومغادر على بيته، بل إنَّ حسين عندما يشاهد كثرتهم يظهر السرور على وجهه، وهو ملجأ للأيتام، يعيشون في كنفه عندما تشتد عليهم السنون، وأنَّ بابه لا يغلق بل إنَّ التراب الناعم الذي تجلبه الريح قد تراكم عليه من سنوات نتيجة فتح الباب المستمر، ثمَّ تنعيه متحسرة وتصفه بالشجاع الذي يلوذ به الفرسان عندما تنهك خيلهم من الطراد فيخافون أن يدركهم العدو وهو ضامن لحمايتهم من فرط شجاعته، ثمَّ تتوجّد عليه مشبِّهة حالتها بحالة الشاب الذي أخذ أسيراً وترك والديه كباراً لا أحد عندهم، أو بحالة المرأة التي مات صغيرها، أو بحالة تاجر القماش الذي يدور ببضاعته وحيداً لا يستطيع النوم من شدة الوجل والخوف من أن يهجم عليه من يغتاله، أو بحالة من يملك قطيعين من الإبل الضخام التي تسرُّ الناظر إليها وهي مدرارة بالحليب، وقد نهبها الغزاة المعتدون مع الصباح الباكر فلم يعد لديه شيء منها، لتؤكد أنَّ جميع مصائب هؤلاء لا تقارن بمصيبتها في زوجها حسين، وتقسم بأنَّ الخوفَ من شماتة الناس هو الذي يمنعها من رفع الصوت بالبكاء مجارية بذلك صوت الحمام الحزين.

الهوامش:

1. وقد حققت ذلك في مقال منشور في جريدة الرياض، السبت 14 ربيع الأول 1429هـ 22- مارس 2008م - العدد 14516
2. البيت مختل الوزن نتيجة خلط من الراوي وأوردته دون تعديل.
3. قدحانهن: جمع قدح

* **رئيس تحرير مجلة الحرس الوطني السعودية**
عضو اللجنة الثقافية ورئيس لجنة الأدب الشعبي بمهرجان الجنادرية

الفاتنة

شعر | جمال بن حويرب

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

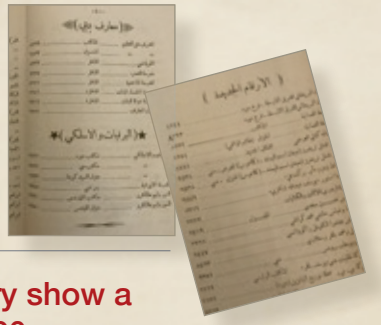

> Subscribers should not leave their phone receivers off the hook even if they do not want to receive calls

> Commercials published in the directory show a boom in trade in Dubai in the early 1960s

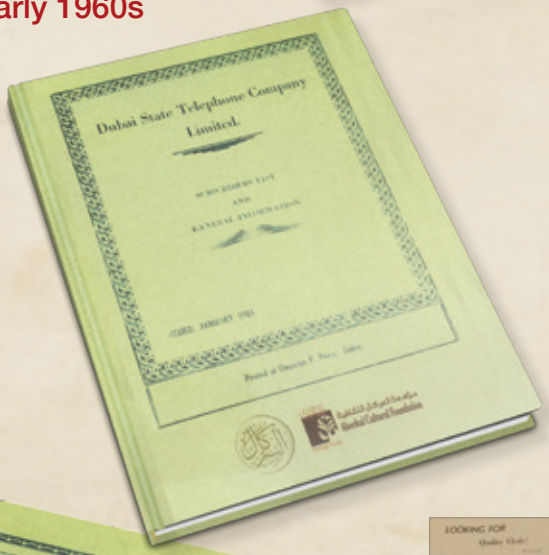

Commercial boom

Another interesting aspect of the directory is the commercials it contains. Unexpectedly, these commercials were varied and showed a flourishing trade in Dubai in the early 1960s. The advertisements included in the guide were written in Arabic and English, to be in harmony with the directory which was issued in a bilingual format as well.

532 Numbers

The directory contained 532 numbers, more than the minimum required by Mr. Iles, General Manager of IAL, with whom the late Nasser bin Abdullatif Alserkal had discussed the idea of establishing a telephone company in the Emirate of Dubai. The suggestion was brought before Sheikh Rashid bin Saeed Al Maktoum, may God have mercy on him, who immediately agreed to establish the company, and the subscription was made.

This is the story of Dubai State Telephone Company Ltd as presented by its first directory; a story worthy of being told, as it shows that Dubai has always been a pioneer in adopting new developments in all fields.

> Years ago, the rich were the only owners of telephone which was a wonder at that time

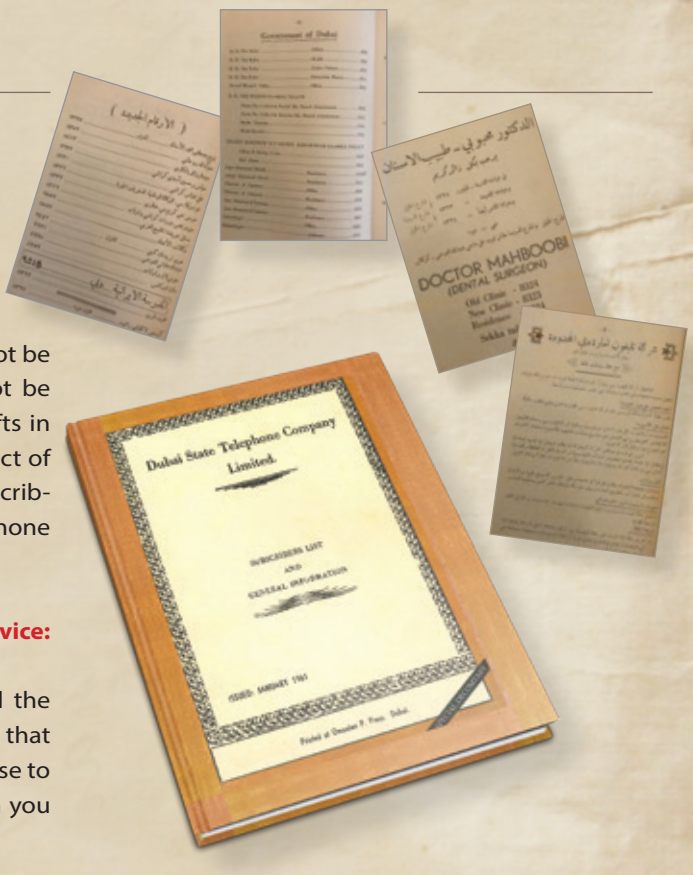

that are not authorized by the company shall not be used. Any employee of the company shall not be entitled to request or accept any money or gifts in return for any service provided by him in respect of telephone, transfer, maintenance or care. Subscribers are kindly requested to inform the Telephone Service of any such occurrences."

Instructions for the use of the automatic device:
How to make a phone call:

"1) Say, for example, that you want to call the number (3276). Lift the headset carefully so that there is no concussion in the base and put it close to your ear to hear continuous low tone. 2) When you hear this tone just start rotating the disc by inserting the tip of your finger into the hole opposite the number 3. 3) Repeat this process with numbers 2, 7, and 6 sequentially in the same way".

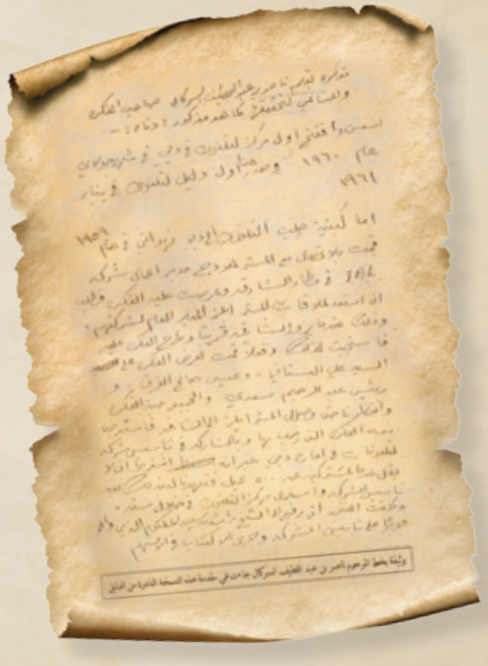

Phone tone

The instructions go on explaining the dial tone and the busy signal until we reach the eighth clause that says: "8) When your telephone bell rings, take off the handset and announce the telephone number and your identity. The expression 'hello' conveys nothing and should be avoided. Replace your handset only when the conversation is complete. 9) How to disconnect: when the call is over, return the headset to the base and make sure to return it correctly; otherwise it may disturb the person who wants to call your number later. Subscribers should not leave their phone receivers off the hook even if they do not want to receive calls"

The story of "Dubai State Telephone Company Ltd" as presented in the first phone directory

Dubai Phone Directory

Ali Obaid Al Hamli

Telephony, that was once a luxury in our societies, is now a necessity, a means available with the best and the most modern features. In the past, phones were a wonder and were only owned by the rich, but now people with low income are keener to possess a lot of communication equipment.

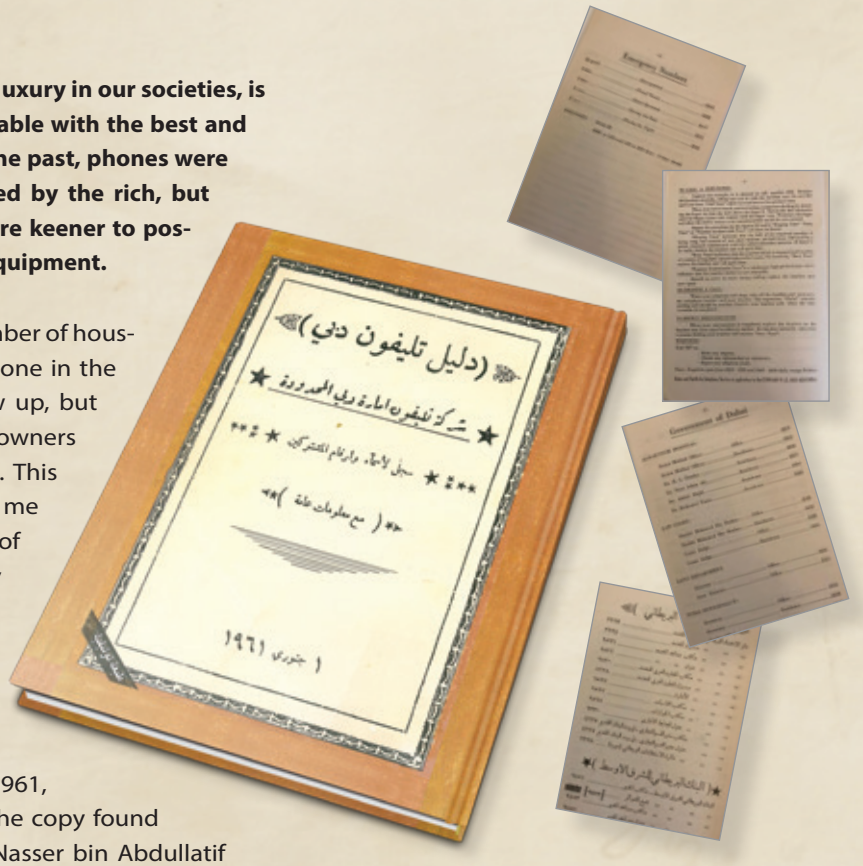

I tried to remember the number of houses whose owners had a telephone in the neighborhood in which I grew up, but I did not find a house whose owners bought a device at that stage. This fact was further established to me while I was flipping the pages of the first telephone directory issued in Dubai that was reprinted by the Information Center for Studies and Research at the Al-Bayan Institute. This directory was published on 1 January 1961, as it appears on the cover of the copy found in the documents of the late Nasser bin Abdullatif Alserkal.

In a handwritten memo on an original copy of the book, Nasser Al Serkal recounts the story behind Dubai's first Telephone Center which started operations in July 1960, then the first Dubai phone book was made available in January 1961.

The directory's first pages contained the "General Information", which are interesting to read and I would extract some of the information that may seem strange today:

"The Dubai Telephone System is fully automatic, all calls being connected without the employment of an operator, and therefore private and confidential," the book boasts.

"How do you get a phone? Submit a written request to the Director General of DSTCL, who will meet the request immediately"

"Hardware transfer works: repairs or renovations: all these works are only carried out by the staff of the DSTCL; unauthorized persons are not allowed to interfere in any way with the telephone assets. Tools

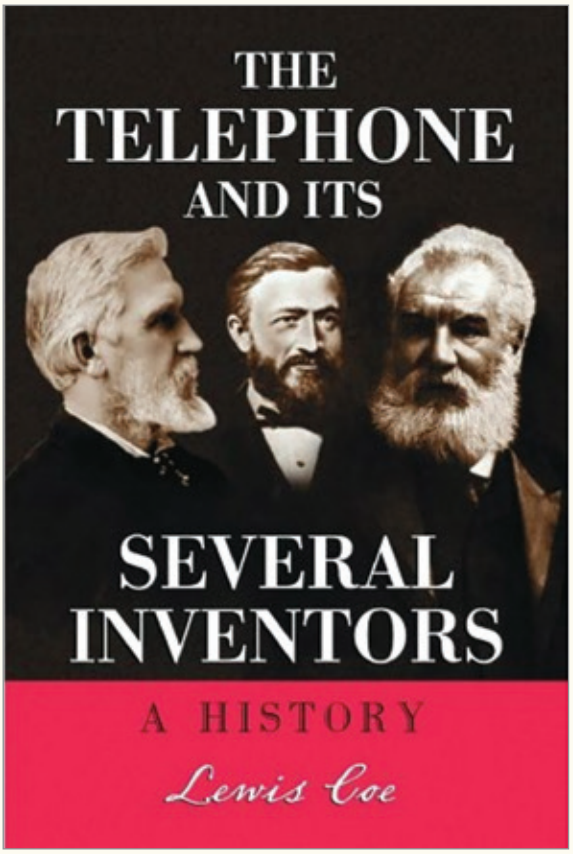

Book Title: **Telephone and Its Several Inventors: A History**
Author: Lewis Coe
Published: January 17, 2006
Publisher: McFarland & Company, Inc., Publishers

On March 7, 1876, the U.S. Patent Office issued to a young inventor named Alexander Graham Bell what is arguably the most valuable patent ever: entitled "improvements in telegraphy," in truth it secured for Bell the basic principles involved in a telephone. On the same day that Bell filed his patent application, a caveat (a preliminary patent document) was filed by Elisha Gray. This coincidence sparked the first of many debates over whether Bell was the true inventor of the telephone. In the early 1860s Johann Phillipp Reis developed a version of the instrument, but his claims against Bell were hampered by the bungling of his lawyers in demonstrating his instrument in court. This work is a first look at the many men who developed the telephone and an examination of their claims against Bell's patent. A lay description of the phone is also provided, as well as a history of the development of the telephone system.

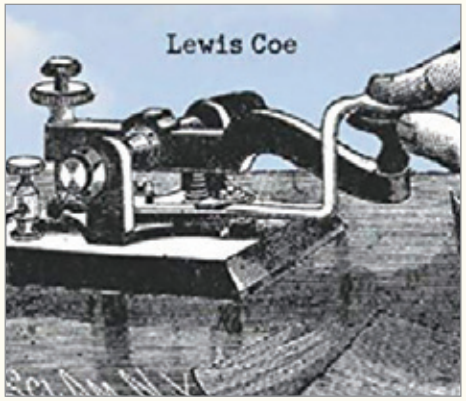

Lewis Coe is the author of Wireless Radio (1996) and The Telegraph (1993). He was himself employed as a telegrapher on the Rock Island Railroad. Mr. Coe was also a member of the Morse Telegraph Club. Mr. Coe was an expert in radio and telegraph and was employed by the U.S. Government during World War II in various classified positions

> Attempts to print the Quran using modern techniques were categorically rejected by the Ottomans

error, which will be clear is the replacement of the letter "T" with "Th". Most diacritics (Harakat) are also omitted.

Linguistic Knowledge

Analyzing the attempt through the text requires knowledge of many aspects not only in the Qur'anic text but also in the contemporary history and culture, in the history of events, and in the dialects of the Arabs.

Perhaps the publisher's goal was to profit from printing the most important and sacred book of Muslims in large quantities and in a unified script in a much shorter time than the scribers whose speeds and forms varied.

The idea is good and the great ambitions of Paganini and his son led to the beginning of the implementation of the idea, which was triggered by their knowledge of the importance of the Quran, their knowledge of the prices of its copies, and their knowledge of the wealthy Muslims' rush to acquire

A photocopy from a hand-written Quran

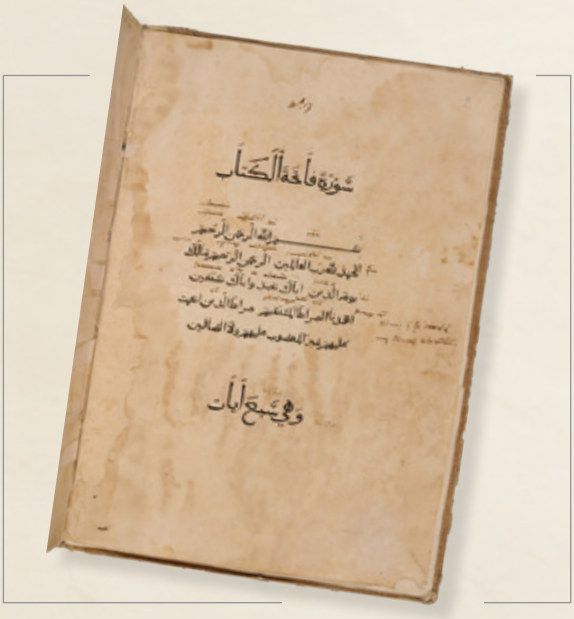

A photocopy of the only surviving copy of the first attempt to print the Holy Quran in Venice, Italy. The opening of the edition is Surat Al Fatiaha. The "fatha" diacritic mark is wrongly used on all letters.

a copy of it in their homes or to give it as a gift as is the case with the Mamluk princes in Egypt and the Levant and Ottoman sultans in Anatolia who were the closest market target for their product, as Dr. Angela suggested.

Generally, there are too many comments I can make about the edition. Some parties were skeptical due to the lack of a historical evidence proving or denying 1537 to 1538 as a fixed period for the completion of the work. There is no written date on the manuscript, and one of the scholars questions the theory of Angela Nuovo's discovery, which will be proved or denied by a more profound historical study and analysis. Analyzing or classifying Paganini's edition as copy of the Quran is not true ideologically, but it is historically correct for it was first published as an attempt to print the Holy Quran in movable type and became well known as Paganini's edition of the Quran.

> Handwriting was the only way for documenting until the beginnings of the Renaissance in Europe

Quran in Arabic".

6. There is no actual evidence of the role of the Church in burning the book. In fact, the only existing version of this project is preserved in the library of San Francesco della Vigna Church in Venice.

7. In 1987, Professor Angela Nuovo discovered this version, which she studied and offered to some scholars interested in Quran.

8. All subsequent attempts to print the entire Quran were outside the Arab and Islamic world.

9. The Kazan Quran was the first version to be printed in an Islamic city in 1801.

10. It wasn't until 1923 that Arabs printed the first Quran copy in the Arab world in Cairo under the supervision of Al-Azhar.

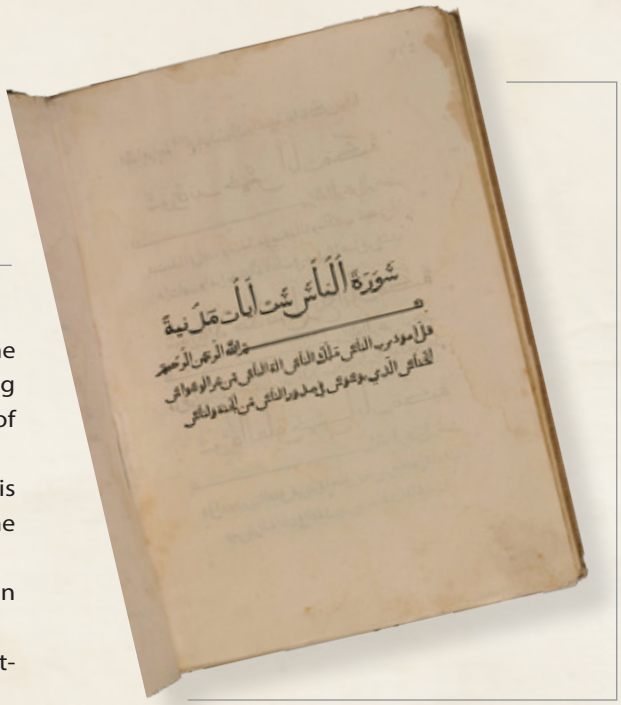

A photocopy of the only surviving copy of the first attempt to print the Holy Quran in Venice, Italy. Surat Al Nas from the end of the edition, the "damma" and "fatha" diacritic marks are wrongly used together, unlike most of the printed editions.

Historical Legacy

I went to Biblioteca San Francesco della Vigna in Venice after a prior agreement with Father Reno. Our meeting took some time in an attempt to dispel his concern that any news about the edition would cause angry reactions similar to what happened when it was first printed.

About the errors

Father Reno met me in Venice and allowed me to see and investigate previous theories about the cause of these errors, especially trying to answer the important question… Were the errors intended?

By all means, I do not think the errors were intentional, especially since it is a costly project and, as it seems, its purpose was purely commercial. These errors may have led to the bankruptcy of the owner of the printing press; it was revealed that someone was trying to buy the Arabic characters from Paganini to use them in Paris and no one knows where these letters were taken.

The whole print contained 464 pages, which I first saw as on a computer. After checking the scanned copy, I was able to spot some errors which I do not consider intentional in any way. The repeated

A page from a verified Quran opposite to a page of the Paganini edition, demonstrating some of the mistakes

A historical Attempt
Foiled by Ignorance of the Arabic Language

The Venetian Quran

Mohamed El-Tadawy

Long time back, Arabs and Muslims have used traditional calligraphy. Fortunately, we still have discoveries of ancient manuscripts that include texts of the Quran. This way of writing dates back to the beginning of the recordation when the Messenger of Allah, peace be upon him, ordered that the Quran should be scribed in the letters prevailing at the time, which were different from currently used letters, because of the additions of punctuation marks during the following century.

With the increase and expansion of the Islamic conquests, the demand and great need for the Quran copies to be sent to different countries have grown. So, to avoid difference in these copies, the third Khaleefah Othman ibn Affan, initiated a movement of Quran compilation that lasted until the beginning of the European Renaissance.

Paganini edition of the Quran

Before the year 1537 AD, no one dared to try printing the Holy Quran, until an attempt took place in Venice, which was a city of traders and has enjoyed extensive business relations with the East. We do not know exactly how the idea occurred to the printer, Paganino Paganini and his son Alessandro. When the West embarked on such an endeavor, the East was under the control of the Ottoman Caliphate which categorically rejected attempts to print the Quran using modern techniques.

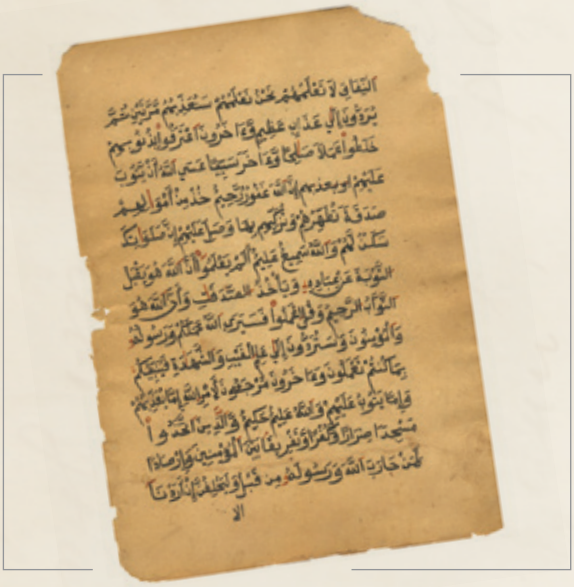

A photocopy of the only surviving copy of the first attempt to print the Holy Quran in Venice, Italy.

Chronicles of the Venetian Quran

1. The note of ownership indicates that this copy was in possession of the Orientalist Teseo Ambrogio degli Albonesi (Pavia 1469-1540)
2. In 1620 Thomas van Erpe (Thomas Erpenius), a Dutch orientalists, published his book on the principles of Arabic, attached with a general index of books printed in Arabic. This index states that the Quran was printed in Venice in 1530.
3. "Did the church in Rome burn the Quran copies?", inquired Erpenius.
4. Erpenius's contemporary orientalist, German priest Johann Hans, asked: 'Who burned the Venetian Quran?' According to his predictions and analysis Hans's answer was "the Pope of Rome did"
5. In 1692, the German historian Wilhelm Ernst Tentzel supported the thesis that the Quran was burned, asserting that "God doesn't permit printing the

Foreword

Jamal Bin Huwaireb
Chief Editor

The importance of documents in our lives

A document is the best source to research and write history

I was astounded by some people who had burned all the heritage of their late fathers. In our societies, we have similar people who destroyed the history, photos and documents as if they were an enemy, not a history that will remain after them. Others have demolished the antiquities in the past moving their stones from one place to another to build them or have melted the old coins in order to extract gold and silver, or to pierce them to be used for ornamentation without knowing their historical value.

Great Value

"Wathiqa" (document) is derived from the verb 'wathaqa' (trust). It was then used in formal transactions of buying and selling, sultans' orders and judicial decisions. Whereas, the historical document is the events history has left and the heritage ancestors have bequeathed. These documents are the witness to history. However, Arabs did not know their meaning in this sense and this is why it was absent in the old dictionaries. The meaning of a (document) was then expanded to include everything that can be documented from old and modern papers, pictures, paintings, audio, video and others.

Document Types

Some people assume that a document is just an old, obsolete worn-out paper, however a document today is much broader than this as there are many types of documents including:

Silent documents: such as buildings and monuments left behind by any civilization

Written documents: they have divisions including "Texts" which are in turn divided into intended texts: developed by people for the purpose of authorship, and unintended texts: which appear as a result of political, economic, social, religious and military influences. Texts may also be personal or general.

Statistics: They are usually published in newspapers or official gazettes of countries, regimes and parties or published on digital sites and include various fields.

Graphs: They are produced by various economic, social and political studies, whether by government agencies, institutions or individuals.

Photos: Photos may be official and related to governments including photos of delegations, meetings, demonstrations and others, or they may be the photos of the surrounding environment such as superstructure, infrastructure, means of transport and others.

Fees: fees may be private or official state fees and local and international organizations fees.

Maps: including political, military, environmental, economic, social maps etc.

Moreover, there are audio and visual materials and many more that cannot be mentioned in this article and I may dedicate further articles for this topic. As for the importance of the document, it is clear today that the different types of official and non-official documents are the identity, history and the basis on which many aspects are built.

The Importance of Documents:

When we allow a document to be revealed, it will be the best source for writing and researching history. What history can we count on without documents, evidence or clues that show us what stories are true or false. Writing down the history has passed through many stages until the advent of modern historical schools which detached it from mythological stories and cynical attitudes. Thanks to modern science and strong constructive criticism, the science of history has a living memory of peoples and a scientific content that must be treated with great honesty and care.

Documents serve as an important source for researchers but there are major obstacles to historical research and recording including the big number of unknown documents, and the documents possessed by some families and by private libraries that may be neglected, worn out, lost or kept secret from researchers.

One may ask, "Can we rely on oral accounts, many of which are exaggerated or forgotten by older people?". Oral accounts are undoubtedly important to preserve our living memory, but they do not reach the significance of documents that cannot be challenged unless it is revealed to be fraudulent. Therefore, when there is no documentation, we can refer to the oral narrative and we can also strengthen the position of the document and vice versa. However, to leave the documents and rely on these oral accounts is a mistake as there are many examples of error, confusion or even lying regarding certain events of the stories.

jamal@jbhsc.ae

Jamal Bin Huwaireb

Stronger Together:
A Tale of Wisdom

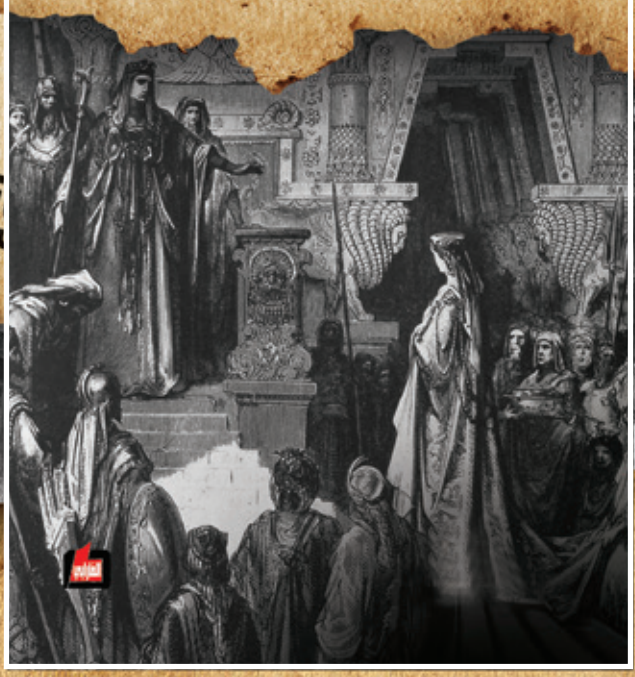

Jamal Bin Huwaireb
Stronger Together:
A Tale of Wisdom

Jamal Bin Huwaireb
Stronger Together:
A Tale of Wis

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

أهدافنـا:

خدمة الباحثين في
التراث والتاريخ واللغة العربية
والتوثيـق والنشـر والتدريب

خدمات المركز:

- دراسات الخيول العربية
- الاستشارات الثقافية والتدريب
- معـارض ومؤتمرات
- البحث والنشـر
- مجالـس علمية متنوعة
- مكتبة عامة تشمل أهم ونوادر كتب الأدب والتاريخ والتراث
- استـضافة كبـار الأدبـاء والمفكريـن
- مكتبـة إلكترونيـة
- مجلـة المركـز «مـدارات ونقـوش»

للتواصل
هـاتـف
0097143940309

www.jbhsc.ae info@jbhsc.ae
Jbhscae Jbhscae Jbhscae Jbhsc AE